المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي
مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي
سلسلة أبحاث الحرمين العلمية (٩)

إبهاج الأنام بفضائل البلد الحرام

١٤٣٥ هـ

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام
والمسجد النبوي
مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي
سلسلةُ أبحاث الـحَرَمَيْـن العِلْمِيَّة (٩)

إبهـاج الأنـام
بفضائل البلد الحرام

إعداد وتأليف :
حسن بن البشير الطِّيلُوش

الطبعة الثانية ١٤٣٥هـ

المقدِّمــــة:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونَتُوب إليه، ونَعُوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيِّئات أعمالنا.

الحمد لله العزيز الغفَّار، المتفرِّد بكمال الخَلْق والاقتدار، والمشيئة والاختيار، أحمده- عز اسمه وجلَّ ثناؤه- على نِعَمه الصَّيِّبة الغِزَار، وآلائه الطَّيِّبة الكِثَار. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، فضَّل أزمنةً عن أزمنةٍ من الليل والنهار، واجْتَبى أمكنةً عن أمصار، وخصَّها بمزيد الإيثار، والبِرِّ المِدْرار، وجعلها مناط الأَجْر والرَّحمة والاستبشار، ومن ذلك بلده الحرام: مكة المكرمة: أشرف البقاع وأطهر الدِّيار. وأشهد أن نبيَّنا محمداً عبد الله ورسوله، نبيُّ الرسالة الرَّبانية المستطابة، وحبيب أُمَّة الإجابة، وعلى آله أُولي الفضل والنجابة، وصحابته الغُرِّ الميامين، ذوي التُّقى والإصابة، والتَّابعين ومن تبعهم بإحسان، ما قَصَدَ البلد الأمين قاصد، وشدَّ له رِكابه، يرجو من الرحمن – سبحانه- الدَّعوة المستجابة، والأجر الجزيل والإثابة، وسلَّم تسليما كثيرا طيِّباً مباركًا إلى يوم الدِّين.

أما بعد: فإنَّ مكَّة المكرمة- حرسها الله- هي أشرف الأماكن على الإطلاق، وأعظمها وأفضلها باتفاق، وقد رَفَع الله في العالمين مِقْدَارها،

وعن سائر الأقطار شَرَّفها واختارها، فَغَدَت هذه البلاد الطاهرة، ومعالمها المباركة الباهرة، مَهْوَى أفئدة المؤمنين، ومحطَّ أنظار العابدين، ومثابة القصَّاد والمشتاقين؛ لما خصَّها الله به مِنَ الفضائل، ولما شرَّفها به من الخصائص الجلائل. قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ ﴾ [آل عمران: ٩٦-٩٧].

إذاً، فكم يطيب الحديث عن بلد عظيم، ومكان كريم، وموطن بالفضل عميم، ولله ما أروع الدَّقائق والسَّاعات، والحروف والعبارات، في أَفْيَاء تلك الجَنَبات، وما أبهج الأشواق والعبرات ساعة انبعَاث النَّفْس، وانسراب الرُّوح وهوي الفؤاد صَوْب أقدس الدِّيار والبقاع، وأطهر الأرجاء والأصقاع!!!

ما أجمل البحث العلمي وأزكاه، وأروعه وأسناه، حين يتضمَّخ بالطُّيوب المكية، والنَّفحات المسكية!!! ما أطيب البحث في سناءات البلد الأمين، المختار من ربِّ العباد، عن سائر البلاد، ببديع المآثر، المشرَّف بأعظم الأحكام والفضائل!!!

أخي القارئ الحبيب: إنَّ حَدِيثَنا الماتع الشَّيِّق -بإذن الله- سيكون عن مكة الإسلام والإيمان والشُّموخ، مكة التوحيد والأمان والرُّسوخ، مكة

العِلْم والأمجاد، والحضارات كالأطواد!!

كيْف!! وعَلَى ثراها أشرقت شمس الهداية، وعلى رُباها رُفعت للحقِّ أعظم راية. فيها وُلِدَ الهادي المصطفى سيِّد العالِمين، وَمِن ذُؤابةِ أنْسَابِها بُعِثَ خَاتَمًا للأَنْبِياء والمرسلين، عليه أفضل الصلاة وأزكى التَّسليم.

في البلد الحرام، تنزل القرآن المبين، والملك جبريل الأمين. لِلْبَلَدِ المُبَارك تهفوا النفوس وتشتاق، وتُفدِّيه بِالمُهَج والأحداق؛ لأنه تقدَّس بالمسجد الحرام الذي ضَمَّ أعظم بيت، عَمَّكَ سناه، أنَّى أَمَّمْته وأَتَيْت، كيف وقد أشرقت بهجته، وسطع نوره، وفاض حُسنه، وزاد جماله، وسَبَى قلوب الخافقين جلاله!!

في رحابه: رحاب البيت العتيق، والمظهر الخاشِعِ الأنيق، تُسْكب العبرات، وتُرفع الدعوات، ويُلهج بأعذب المناجاة.

عند الكعبة المطهَّرة، لا ترى إلا الصفاء والطُّهر، والأخيار في تلألؤ الأنجم الزُّهر: ترتيل ودعاء، وذِكْر ونداء، وخُشُوع ورجاء، وابتهال مُصَعِّد – في حرارةٍ- من الأحناء، وتوبة وثناء!!

في البلد الحرام: المشاعر العظام: المزدلفة وعَرَفَات، ومنى والخَيْف والجمرات، وإذا رأيت ثَمَّ رأيت دُموعًا تحدَّرت على الوجْناء، واستغفارًا للذنوب والحَوْباء، واستمناحًا للعفو وكريم الفضل والجزاء، وكُلَّ ما

يعجز عن وصفه البلغاء، للذين يرجون الرِّضوان والنعماء، والاستقامة والاستهداء، وكُلَّ ما يقْصُر دون كُنْهِ أسراره الأَبْيِنَاء، والمجلِّين من الحكماء!!!

ذلك غَيْضٌ مِنْ فيض عظمة أم القرى، وذلك - أيضاً - ثَمَدٌ من غَمْرِ الحُبِّ الذي نَحَله الباحث للبلد المبارك، الذي نشأ في جَنَباته، ونهل من مَعِينِه وسَلْسَاله، ما شاء الله له أن يَنهَل من أَسَاكِيب الخير التي يَرُومها كل مسلم، كي ينضوي في الثلة المباركة، ثلة الذين أراد الله بهم الخير، الوارد في الحديث الشريف الصحيح(١).

سائلا المولى - عَزَّ وجَلَّ - أن يكون تعظيم البلد الحرام وحُبُّه، وسائر الأعمال راسخا في الصدور، شأنه في السُّطُور، وتلك هي الحقيقة المبتغاة، وذلك هو الجوهر المحبوب، والأصل المطلوب من كل قول وعمل، وقُرْبَةٍ وإحسان؛ لقوله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صُوَرِكم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»(٢)، وتلك ومضة تربوية واجتماعِيَّة نفيسة، ما أحرانا بها، وما أولانا أن نتدبَّرها، وأن نتحقَّق بها في جميع أعمالنا وأقوالنا،

---

(١) إشارة إلى قوله ﷺ: « من يُرِدِ الله به خيرًا يُفَقِّهه في الدِّين »، أخرجه البخاري في « صحيحه » برقم [٧١].

(٢) أخرجه مسلم في « صحيحه » برقم [٢٥٦٤].

وعباداتنا وقُرُباتنا، وارتباطاتنا، وعلاقاتنا؛ لأن جما غفيرًا من المسلمين، لم تمحِّصهم مراشد القِيَم، ولم تُعْجِم شَخْصيَّاتهم موازين المُثُل، وضوابط المبادئ، فَوَلَّوا مُهْطِعين صَوْب سراب الزخارف والمظاهر، منصرفين عن الحقائق والجواهر، وما دَرَوْا -أرشدَهم الله- أنَّ الأمر كل الأمر: قرين الحقائق والجواهر، ومن وُفِّقَ لإدراك تلك المعاني النَّضَّاحة بنداوة الرُّوح، وزكاء النَّفْس، وعظمة الخُلُق، ونقاء السريرة، وصِدْق الاهتداء والمحاسبة، والخشية والمراقبة، وهَلُمَّ رشفاً مِنْ زُلال الخلائق الجلائل التي تَجِلُّ عن الحصر والتعداد، فقد مَنَّ الله عليه بجميل لطفه، وجزيل كرمه وتوفيقه.

نعم! امتدَّ القول وحَلاَ واستطاب، خارجًا عمَّا نحن بصدده؛ لأنه الأثر الهنيء من آثار الحديث عن فضائل البلد الحرام، وما يوحِيه البيت العتيق من دلالات الهداية والإنابة.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تضمَّنت الدِّيباجة إلماحات عن أهمية الموضوع- وهو: عظمة مكة المكرمة- وتحت هذا العنوان نزيد الأمر وضوحًا وجلاءً، مُسْتَلْهِمِين من الله ﷻ التوفيق، قائلين:

إنَّ قدسيَّة بلد الله الحرام، ومكانته السامية لدى المسلمين، في قديم

التاريخ وحديثه، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لا تزال ميدانًا مباركًا لأقلام الدَّارسين، ومعينًا ثَرًا لا يغيض، للبحث في تاريخها، وحضارتها، وأحكامها، وفضائلها، وخصائصها، وَوُرَّادها، ورُوَّادِها في العلوم الإسلامية، وسائر الفنون والمعارف، ذاك من جهة، ومن جهة أخرى لئن تَلَبَّثْنا مُلاوة من الزمن عند اجْتِبَائها واختيارها من لدُن الباري - جلَّ شأنه - لَأَحْسَبَنَا ذلك أمر أهمية الموضوع، فكيف بنا ونحن نكشفُ عن مُجَرَّد كُوَّةٍ نُورَانِيَّة من فضائها الواسع الرحيب في الفضائل والتحريم!! ذلك إجمال الأهمية، وأما تفصيلها ففي التسلسل الآتي:

١- نِسْبَة البلد الحرام للخالق - عزَّ وجل - ومكانته الشامخة في قلوب المسلمين، أَحَدَا الركائز المتينة في أهمية الموضوع.

٢- الشوق المُبَرِّح للمسلمين، لهذه الدِّيار المقدَّسة وانعطافهم جِبِلَّة إليها، وحرصهم على تَتَبُّع أحكامها وأخبارها، وآداب زيارتها.

٣- يحمل البلد الحرام في أكنافه ثروةً عِلْمِيَة، ورِكَازًا حضارِيًا يتَطَلَّبان من المسؤولين والباحثين، الكشف عنهما، وإظهارهما للعالمين.

٤- استقصاء الفضائل الثَّابتة الصحيحة للبلد الحرام.

٥- تشويق المسلمين لاسْتباق تلك الفضائل وتحفيزهم لتعظيم البلد الأمين، وعلى وجه الخصوص: قاطِنُو مكة المكرمة والمقيمون فيها، لما يُلاحَظُ من تقصير في هذا الجانب.

تلك ومضات عن أهمية الموضوع.

منهج البحث:

سلكت في منهج البحث الخطوات الآتية:

١ - جَمَعْت المادة العلمية من مصادرها الأصلية.

٢ - بذلت جهدي في استقصاء الفضائل الصحيحة الواردة في الكتاب والسُّنَّة.

٣- توخَّيت القصد والاعتدال في الحديث عن الفضائل، دون إجْحَافٍ أو إسهاب.

٤ - سِرْتُ وَفْق المنهج العلمي، من حيث: التوثيقُ، والعزوُ، والإحالة.

٥ - التزمت التوثيق العلمي من مصادره الأصيلة المعتبرة.

٦ - عزوت الآيات الكريمات إلى سُوَرِها، مع ذِكْرِ رقم الآية واسم السورة.

٧- خرَّجت الأحاديث والآثار من مَصَادِرها الأصيلة، في توسط

وإيجاز.

٨- ذيَّلت البحث بالفهرسين الآتيين:

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

وبعد هذه المقدمة المقتضبة، أُورِدُ متضمناتها، وهي كالآتي:

خطة البحث: واشتملت على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

المقدمة: واشتملت على :

أهمية الموضوع:

أسباب اختياره.

منهج البحث.

خطة البحث.

التمهيد: واشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الفضائل: لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: أسماء البلد الحرام.

المطلب الثالث: التعريف بالبلد الحرام.

المطلب الرابع: موقع البلد الحرام.

المطلب الخامس: حدود البلد الحرام.

المبحث الأول: فضائل البلد الحرام.

واشتمل على: واحد وعشرين مطلبا:

المطلب الأول: فضل قَسَم الله ـ سبحانه ـ به .

المطلب الثاني: فَضْل كونه خير البلاد وأحبها إلى الله ـ سبحانه.

المطلب الثالث: فضل دعاء إبراهيم ـ عليه السلام ـ له بالرزق.

المطلب الرابع: فضل حُبِّ الرسول ﷺ للبلد الحرام.

المطلب الخامس: فضل حب الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ للبلد الحرام.

المطلب السادس: فضل كون البلد الحرام مأرز الإيمان.

أولاً: تعريف المأرز.

أ- المأرز في اللغة.

ب - المأرز في الاصطلاح.

ثانياً: فضل كونها مأرز الإيمان.

المطلب السابع: فضل حفظه من دخول الدَّجَّال.

أولاً : تعريف الدجال في اللغة والاصطلاح:

أ- تعريف الدجال في اللغة.

ب - تعريف الدجال في الاصطلاح.

ثانياً: فضل حفظها من دخول الدجال.

المطلب الثامن: فضل المسجد الحرام.

أولاً: فَضْلُ الكعبة المعظَّمة:

ثانياً: فضل ترك استقبال الكعبة أو استدبارها عند قضاء الحاجة.

ثالثاً: الكعبة المشرَّفة قِبْلة المسلمين أحياءً وأمواتاً.

رابعاً: فضل استحباب الصَّلاة دَاخل الكعبة.

المطلب التاسع: فضل مقام إبراهيم- عليه السلام .

المطلب العاشر: فضل الحَجَر الأسود.

المطلب الحادي عشر: فضل الرُّكن اليَماني.

المطلب الثاني عشر: فضل ماء زمزم.

المطلب الثالث عشر: الحِجْر: تعريفه، أسماؤه وفضله.

المطلب الثالث: تحريم القتال وسفك الدِّماء في البلد الحرام.

المطلب الرابع: النهي عن حمل السلاح فيه إلا لحاجة.

المطلب الخامس: تحريم الإلحاد في البلد الحرام.

أولا: تعريف الإلحاد في اللغة والاصطلاح.

أ- الإلحاد في اللغة.

ب - الإلحاد في الاصطلاح.

ثانيا: تحريم الإلحاد في البلد الحرام.

المطلب السادس: تحريم دخول غير المسلمين للبلد الحرام.

المطلب السابع: تحريم قطع الشجر والشوك والخلى.

المطلب الثامن: استثناء الإذخر من القطع.

المطلب التاسع: تحريم أخذ لقطة البلد الحرام.

أولا: تعريف اللُّقَطة في اللغة والاصطلاح.

أ - اللُّقَطَة في اللغة.   ب - اللُّقطة في الاصطلاح.

ثانيا: تحريم أخذ لقطة البلد الحرام.

المطلب العاشر: تحريم صيد البلد الحرام.

المطلب الحادي عشر: قتل الفواسق في الحرم.

المطلب الثاني عشر: لزوم دخول البلد الحرام بالإحرام لقاصد الحج والعمرة.

الخاتمة: واشتملت على :النتائج والتوصيات.

شُكْر كَعَرْفِ الطِّيب:

من الأخلاق السامية التي شرعها لنا دِينُنا الحنيف، وأدَّبنا بها نبِيُّنا الكريم ﷺ، إزْجاء الشكر لأهله ومُستَحِقِّيه. فالشكر أولاً وآخرًا، وباطنًا وظاهرًا، للمولى- تبارك وتعالى- على ما منَّ به مِن توفيق وتيسير، وعَوْنِ جزيل ويسير، في هذا البحث وسواه، وله الحمد كلُّه، على جميل لُطفه ورحمته، وإحسانه ومِنَّتِه.

ثم الشكر الجزيل لِصاحب المعالي فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، وعلى جهوده التَّطويرية المتألِّقة في خدمة الحرمين الشريفين، وآثاره الأوَّلية المُبْدِعة فيهما، ولات الحين، حين تعْداد تلك المآثر- وإنها لَجَمَّة وكثيرة- ولكن حَسْبُنا وحَسْبُه تأسيسه لِمركز البحث العِلْمِي وإحياء التراث الإسلامي -ولولاه بعد الله ﷻ لَما كان الذي بين يديك، ونُظراؤه-، والذي يُعْنَى في المقام الأول بتاريخ وعِمارة وأحكام الحرمين الشريفين وآداب زيارتهما، وتأسيسه أول مكتبة عامة في رِوَاقِ المسجد الحرام، ولا يشي ذلك إلَّا بِشَغَفِهِ وتَبَلِه وهُيامه بالعلم، وبِبُطولته وتَبْريزه فيه- ولمفردة البطولة -هنا- معنى مراد-

وفَّقه الله وأجزل ثوابه، وحقق أمانيه وآرَابه، ونفـع بجهـوده الإسـلام والمسلمين، آمين.

أسأل المولى – عزَّ وجل- أن يُوَفِّقَنَا لكـل خـير ورشـاد، وهـدى وسداد، إن ربي سميع مجيب.

هذا، وصلَّى الله وسَلَّم وبارك على نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد:

التمهيد:

منذ أقدم العصور، وأعرق الدهور وتاريخ مكة المكرمة وثيق الصلة بِهِجْرَةِ إبراهيم -عليه السلام- من الشام إلى تلك الأرض الجَرْدَاء القَفْراء، التي أنبتت أعظم حضارة عرفها التاريخ، حيث أَسْكن فيها زَوجَه هاجر وولده الرَّضيع إسماعيل -عليهم السلام-، لاهِجًا إلى الله -سبحانه- بِالدُّعاء، مُبَيِّناً حالته وخصاصته، واصِفًا المكان اليباب الذي حَلَّ فِيه وانْتَحَاه، وذلك في قول الحق- تبارك وتعالى-: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم:٣٧] مُضَمِّناً هذه الضَّراعَة الحَارَّة، طَلَبَ الإِلْفِ في تلك الأَرْض الفلاة، التي لا جليس فيها ولا أنيس، رَاجِياً دَفع الوِحْشة عن زوجته وولده، قال تعالى عن إبراهيم- عليه السلام-: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ [إبراهيم:٣٧].

ولمَّا شبَّ إسماعِيل -عليه السَّلام- وصَار يَافِعًا، أَمَر البَاري -تبارك وتعالى-، خليله إبراهيم- عليه السلام- بِبناء الكعبة، بعد أن بوَّأه مكانها، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ [الحج:٢٦]، أي: بيَّنا له مكانه، وعرَّفناه حُدُودَه. فَرَفع قواعدَه وبَناه بِمَعِيَّة ومُسَاعَدَةِ ابنه إسماعيل- عليهما السلام-، قال -سبحانه-: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧].

وقد أورد الإمام البخاري -رحمه الله- قصة إبراهيم -عليه السلام- وهجرته إلى مكة المكرمة، وفي حديث شيِّق، زاخر بِالعِبَر والدروس الإيمانية، والفوائد الأخلاقية والاجتماعية، ولولا طول فيه، لنقلته بِفَصِّه ونَصِّه، ولكن أقتصر على محل الشاهد منه، عن مبدأ النشأة والبناء لبيت الله الحرام.

عن ابن عَبَّاسٍ ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: قال [إبراهيم] إنَّ الله أمَرَنِي أنْ أبْنِي ههنا بَيْتاً، وأشار إلى أكمَةٍ مُرْتفِعةٍ على ما حولها، قال: فَعِند ذلك رَفع القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بِالحجارَة وإبراهيم يَبْنِي، حتَّى إذا ارْتَفع البِناء جاء بهذا الحجر فوضعه له، فقام عليه وهو يَبْنِي وإسماعيل يُناوله الحجارة، داعيان - عليهما السلام- : ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾(١) [البقرة:١٢٧]، وبذلك البِنَاء المبارك والجهد الميمون كانت الكَعْبة المشرَّفة أوَّل بَيْتٍ على وجه الأرْض أقيم لِعِبَادَة الحق تبارك وتعالى وأول بيتٍ قِبلة للصَّلاة، وأول بيتٍ موضِعًا للطواف، قال ﷻ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٦].

عن أبي ذَرٍّ ﷺ: أنه قال: قلت يا رسول الله، أيّ مَسْجِدٍ وُضِع في الأرْض أوَّل؟ قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى

---

(١) أخرجه البخاري في « صحيحه » برقم [٣٣٦٤].

قلتُ: كم كان بَيْنَهُما؟ قال: «أربعون سنة، ثم أَيْنَما أدْرَكتْك الصَّلاة بَعدُ، فصَلِّه فإنَّ الفَضْل فيه» [1]. تلك نبذة يسيرة عن مبتدأ بناء الكعبة المشرفة، وأولية المسجد الحرام، بين المساجد في الأرض.

المطلب الأول: تعريف الفضائل:

الفضائل في اللغة:

الفضائل: جمع فضيلة- بفتح فكسر- : الدرجة الرفيعة في الفضل، وحسن الخلق. وفضيلة الشيء: مرتبته، أو وظيفته التي قُصِدَت منه.

والفضل والفضيلة: كل عطية لا يلزم إعطاؤها، لمن أعطيت له [2].

وفي الاصطلاح:

الفضل والفضيلة: المزية الحسنة، والدرجة الرفيعة في الفضل، وهي: البركة والخير والزيادة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ وقوله -عز وجل- : ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾. أي: والله ذو الخير والبركة، يؤتيهما ويختص بهما من يشاء [3].

---

(١) أخرجه البخاري في « صحيحه » برقم [٣٣٦٦]، ومسلم في « صحيحه » برقم [٥٢٠].

(٢) ينظر: « الصحاح » و« اللسان » و« تاج العروس » مادة (فضل).

(٣) ينظر: « التعريفات » للجرجاني، و« الكليات » للكفوي، و« المفردات » للأصفهاني مادة (فَضَل).

إذا، فالفضيلة التي نرومها، ونقصد الحديث عنها في بحثنا هذا، هي: المزية والدرجة الرفيعة، التي ضمَّت الخير والبركة والأجر.

المطلب الثاني: أسماء البلد الحرام:

تَعَدَّدَت أسْماء البلد الحرام في الكتاب والسنة، ولسان العرب، واهتمَّ أهل العِلم بحَصْرِها وبيَان معناها، وما ذلك إلاَّ لِشَرَفِها وعظمَتها، قال الإمام النووي –رحمه الله-: « واعلم أنَّ كَثْرَةَ الأسماء تدُلُّ على عظم المُسَمَّى كما في أسماء الله تعالى، وأسماء رسوله ﷺ، ولا نَعْلَم بَلَدًا أكثر أسْماءً من مكة والمدينة؛ لكونهما أفضل الأرض، وذلك لكثرة الصِّفات المقتضِية للتسميَة »[١].

وما كثرة الأسماء إلاَّ لِفضْلِها   حَبَاها بها الرَّحمن من أجْلِ كَعْبَةِ

وأما أسماؤها الشريفة التي وَرَدت في القرآن الكريم، فهي على النحو التالي:

أولاً: مكة: وهو أشهر الأسماء، وأكثرها وروداً في السُّنَّة ، وورد مرة واحدة في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الفتح:٢٤]

(١) ينظر: « تهذيب الأسماء واللُّغات » (١٥٧/٣).

وفي مَعْنى هذا الاسم أقوال لأهل العلم، منها:

١- سُمّيت مكَّة؛ لأنها تَمُكُّ الجبَّارين، أي: تُهْلِكهم وتُذْهِب كِبْرِياءهم.

٢- لأنها تَمُكُّ الفَاجِر عنها، أي: تُخْرِجه.

٣- لازْدِحام النَّاسِ بها.

٤- لأنَّها تَمُكُّ الذُّنوب، أي: تَذْهب بها، كما يَمُكُّ الفصيل ضَرع أمِّه، فلا يُبْقي فيه شيئًا.

٥- سُميت مكّة؛ لأنَّ العرب في الجاهِليَّة كانت تقول: « لا يَتم حجُّنا حَتَّى نأتي مكان الكعبة فَنَمُكُّ فيه، أي: نُصَفِّر صفير المُكَاء حول الكعبة، وكانوا يُصَفِّرون ويُصَفِّقون بأيْدِيهم إذا طافوا بِها »(١).

ثانياً: بكَّة: ورَد هذا الاسم الشريف في موضع واحِدٍ من القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران:٩٦].

(١) ينظر في معاني « مكة »: « معجم البلدان » (٥/٢١٠-٢١١)، « مثير العزم السَّاكن إلى أشرف الأماكن » (١/٣٢٤)، و« شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام » (١/٧٧).

ووجه التَّسمية بذلك على أقوال:

١ - لأنها تَبُكُّ -أي: تدقُّ- أعناق الجبابِرة.

٢ - لازْدِحَامِ الناس بها، وبَكِّ أقْدَام بعضهم في الطَّوف.

٣ - لأنَّ النَّاس يَتبَاكُّونَ فيها، أي: يَزْدَحِمون.

وقد ذهب بعض العلماء إلى أنَّ اسم « مكة » مُرَادِف لـ « بَكَّة » لاشتراكِهما في الدِّلالات والمعاني: كالدَّفع، والدَّقِّ. وفرَّق آخرون بقولهم:

١ - بَكَّةَ مَوضع البيْتِ، وما حوله مكَّة.

٢ - بكَّة موضع البيْت، والقرْية: مكَّة.

٣ - بَكَّة موضع البيت، والحرم كُلّه: مكَّة[1].

ثالثاً: أم القرى: وَرَدَ هذا الاسم الكريم في مَوْضِعَين من الكلام العزيز، في قوله -سبحانه-: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام:٩٢]، وفي قوله -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الشورى:٧]

---

(١) ينظر: « مثير العَزم الساكن إلى أشرف الأماكن » (١/٣٢٥)، « تهذيب الأسماء واللُّغات » (٢/٣٩-٤٠).

وسُمِّيت بذلك لِعِلَلٍ وأسبابٍ، وتأويلاتٍ رِغَاب:

١ - لأن الأرض التي دُحِيَت، -أي: مُدَّت وبُسِطت- من تحتها.

٢ - لأنها أعظم القرى شَأناً ورِفعة.

٣- لأنَّها أَقدم القُرَى.

٤ - لأَنَّ فيها بَيت الله -سبحانه- ولَمَّا قُدِّم بَيت الملك وبَلَده على جميع الأماكن، سمي أُمًّا؛ لأنَّ الأُمَّ مُتقَدِّمة[1]، ودائما مقدمة.

٤ - قال ابن كثير- رحمه الله- : وسميت بذلك – أي: أم القرى- لأنها أشرف وأفضل من سائر البلاد، وأحبها إلى الله وإلى رسوله ﷺ[2].

وقد ثبت علميا، عن عدة دراسات هندسية وجغرافية، أن مكة المكرمة تقع في مركز الكرة الأرضية، وأنها محور العالم ووسطه، وهو تأويل قوي لتسميتها بأم القرى.

رَابعًا: **البلد:** وَرَدَ هذا الاسم، في موضعين من القرآن الكريم، في

---

(١) ينظر: « شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام » (١/٧٨)، و « مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن » (١/٣٢٧).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/١١٦).

قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ [البلد:١-٢]، وفي قوله - سبحانه -: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥].

وسمي البلد الحرام، بالبلد؛ تفخيمًا وتوقيرًا؛ لأنَّ من معاني البلد -في اللُّغة- الصَّدْر، فهو صَدْر القُرى وسُرَّتُهم، وقبلتهم ودُرَّتُهم.

خامِسًا: البلدة. وَرَدت في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا﴾ [النمل:٩١]، والبلْدَة في اللّغة: البلد، وقيل: البلد أعم، بينما البلدة: الطَّائفة والنَّاحِية مِن البلد[١]. وإضافة الرُّبوبيّة للبلدة على سبيل التشريف لها، والاعتناء بها[٢].

سَادِسًا: البلد الأمين: ورَد في قوله -جل شأنه- ﴿وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾ [التين:٣] وسُمِّي بذلك؛ لأنه كثير الأمن، ولأنَّ دَاخِلَهُ آمِنٌ لا يَخَاف، وأهله آمنون من غزو العدو.

وهذا القَسَم، من رب العالمين -جل اسمه-، بالبلد الأمين، دليل على الرفعة والتعظيم لهذا البلد، وتنويهٌ بأهمية الأمن، ومدى حاجة العباد

---

(١) ينظر: « تاج العروس » مادة (بلد).

(٢) ينظر: « تفسير القرآن العظيم » لابن كثير (٢/٦٨٥).

لأفْيَائه، سواء الأفراد أم المجتمعات، لذلك امتن الله تعالى بهذه النعمة على بلده الحرام وأتمَّها.

سابعًا: القَرية: ورَدَت في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً ﴾ [النحل:١١٢]. سُمِّي البلد الحرام بالقرية؛ لأنه يَجْمع كثيرًا من الناس، والاسم مأخوذ مِن القَرْيِ، تقول: قَرَيْتُ الماء في الحوض، إذا جَمَعْته(١).

ثامناً: مَعَاد: وَرَد هذا الاسم الشريف في قوله تعالى: ﴿(٨٤) إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ [القصص:٨٥]. وسُمِّيت بذلك لِرُجوع الرسول ﷺ وعودته إليها عام الفتح، بَعْدَ إخراجه منها. أورد ابن كثير – رحمه الله- عن الضحاك قوله: لما خرج النبي ﷺ من مكة، فبلغ الجحفة، اشتاق إلى مكة، فأنزل الله عليه هذه الآية(٢).

تاسِعًا: الحَرَم: وَرَد هذا الاسم الكريم في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت:٦٧] قال القرطبي –رحمه الله-: « هي مَكَّة، جُعِلَت حَرَمًا آمِنًا »(٣).

---

(١) ينظر: « مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن » (ص٢٣٢).

(٢) ينظر: « تفسير ابن كثير » (٤٠٢/٣).

(٣) ينظر: « الجامع لأحكام القرآن » عند تفسير الآية

عاشرًا: المسجد الحرام: وقد وَرَد ذِكر هذا الاسم المكرَّم في خمسة عشر موضعًا في القرآن الكريم، نكتفي بواحِدٍ منها، في قوله -تبارك وتعالى-: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ ﴾ [البقرة:١٤٩]، أي: مكة المُشرَّفة.

تلك هي أشهر أسماء مكّة المباركة، الوارِدة في القرآن المجيد، ولها أسْمَاء، أخرى، منها:

الباسَّة: مِن البَسِّ: التَّحطيم، أي: تُحطِّم من ألْحَدَ فيها. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾ [الواقعة:٥].

النَّاسَّة: مِنَ النَّسِّ: الإبعاد؛ لأنَّها تُبْعِدُ المُلْحِدَ وتطَرُدُه.

الحاطمة: لأنها تَحْطم من اسْتَخفَّ بها.

صِلاح: سُمِّيت بذلك؛ لأمنها وصلاحِها.

كُوثَى -بِضَم الكاف- : سُمِّيت باسم مَحِلَّةٍ لِبَني عبدالدَّار.

الرَّأس: لأنها أشرف الأراضِي، كالرَّأس من الناس، أشرف الأعضاء.

والقَادِسيَّة، والمُقَدَّسة: المنَزَّهة عن كل ما يستقذر، ولوجودها في الأرض المقدسة.

أُمُّ رُحْم: لأنَّ النَّاس يَترَاحمون ويتَواصلون فيها.

وبَرَّة: لِبرِّها بالمؤمنين - أي بر الله بالمؤمنين فيها - وكثرة خيرها الذي لا يوجد في سِوَاها.

تلك جُملة حسَنة طيِّبة مِن أسْماء مكَّة المكرَّمة، توخيت الإطالة فيها للدلالة على جلال مكانتِها وهَيْبَتها، من دون سائر أماكن المعمورَة.

هي مهبط الوحي الكريم مثابةً ... لله والبيت العتيق الأنورُ

تعنو الوجوه لذي الجلال خلالها ... وإليه من آثامها تستغفرُ

ولقد تصرَّمت القرون ولم تزل ... فيها الجوارح والجوانح تزخرُ

المطلب الثالث: التعريف بالبلد الحرام:

إذا أطلق البلد الحرام، فيراد به -غالبا- مكة المكرمة، وتحديدا: الحرم المكي، كما يراد به المسجد الحرام، وذات البيت المبارك.

قال الإمام النووي -رحمه الله-: (واعلم أن المسجد الحرام قد يطلق، ويراد بِهِ الكعبة فقط، وقد يراد به المسجد وحولها معها، وقد يراد به مكة كلها، وقد يراد به مكة مع الحرم حولها بكمالها)[1].

(١) ينظر: «المجموع شرح المهذب» (١٨٩/٣).

المطلب الرابع: موقع البلد الحرام:

حدَّد موقعها السبتي -رحمه الله- بقوله: « هي- شرفها الله- تعالى- في بطن وادٍ مقدَّس، معظَّم مشرَّف، قد أحدقت الجبال بها من كل جهة ومكان »[١].

وحدَّدها الفاسي- رحمه الله- بقوله: بلدة مستطيلة كبيرة، في بطن وادٍ مقدَّس، والجبال محدقة بها كالسُّور لها، وليس فيها أودية جارية[٢].

ولكن مع امتداد الدهور، وتباين العصور، وارتقاء الحضارات، تغيرت معالم مكة المكرمة، وأصبحت تلك التعاريف مشطَّة عن الواقع المعاصر، وعليه، فالتعريف المناسب هو: يقع البلد الحرام، في المملكة العربية السعودية على الساحل الغربي منها، في وادٍ غير ذي زرع. تحيط بها الجبال من جميع النواحي، وليس فيها أودية جارية. تبعد عن المدينة المنورة بنحو (٤٩٧كم)، وتبعد عن جدة – أهم الموانئ السعودية- بنحو (٧٥ كم)، وعن مدينة الطائف بنحو (٣٥كم)[٣].

---

(١) ينظر: « مستفاد الرحلة » (٢٣٠-٢٣٣).

(٢) ينظر: « شفاء الغرام » (١/٢٣-٣٦).

(٣) ينظر: « معجم البلدان » (٥/١٨٧)، "المجاز بين اليمامة والحجاز (٣١٩)، « معالم الحجاز » (٨/٤٤).

المطلب الخامس: حدود البلد الحرام:

ولِمكانة مكَّة المكرَّمة في العالمين، ولاختيارها أَرضًا مباركة طاهرة للعابدين والنَّاسكين، وموئلاً لإقامة الركن الخامس من الدِّين، كان تحديدُ مِنْطقتِها، وتعيين معالِمِ[1] بُقَعتِها بِوَحْيٍ من المولى -تبارك وتعالى- حيث نزل جبريل -عليه السلام- وأبان مَوَاقع أنْصَاب[2] الحَرَم، لِنَبِيِّ الله إبراهيم -عليه السَّلام- وجَدَّدَها الرَّسول ﷺ عام الفتح.

روى أبونعيم عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنَّ النَّبِيَّ ﷺ: بَعثَ عام الفتح تميم بن أسَدٍ الخزاعِي، فَجَدَّدَ أنْصاب الحرم[3].

واسْتَمَرَّ الاهتمام بتلك الأعلام والتواصي بتَجْدِيدها عبر العصور، لما يعتريها من عوامل التَّعْفِيَة والدُّروس، وما ذلك إلاَّ اقتداء بالرسول ﷺ ولِأَهَمِّيَّة تلك الأعلام التي توضِّح المساحة المحرمَّة، وما يتعلَّق بها من عظيم الأحكام. قال الإمام النَّوَوِيّ -رحمه الله-: واعلم أنَّ معرفة حُدود

---

(١) تَعَدَّدَت أسْماء تلك العلامات، فأطلق عليها: الأعلام، والأنْصاب، والأمْيَال. والمُتَدَاول حديثًا: الأعلام.

(٢) الأنصاب: جَمْع نصب: العلامة والحَدُّ.

(٣) ينظر: « أخبار مكة » للأزرقي (١٢٧/٢)، و« معرفة الصحابة » لأبي نعيم (٤٥٢/١) وحسنه ابن حجر في « الإصابة في معرفة الصَّحابة » (١٨٣/١).

الحرم من أهَمِّ ما يَنْبغي أن يُعْتنَى به؛ فإنه يَتَعَلَّقُ به أحكام كثيرَة"[١].

وقال الزركشي - رحمه الله - : ((الحكمة في تحديد الحرم، التزام ما ثبت له من الأحكام، وتبيين ما أختُصَّ به من البركات))[٢].

بذلك، يتضح لنا، أن تحديد حدود الحرم، وتوضيح أعلامه، أمرٌ توقيفي، لا مجال للاجتهاد فيه، ما يؤكد عظم المسؤولية في صيانة وتطوير تلك الأنصاب، والمحافظة عليها، وتعهدها بين الفينة والأخرى. وإنَّها لَتلقى في هذا الأوان الزَّاهر فائق الرعاية والعِنَاية، وخصوصاً المعالم التي نُصِبت على مداخل مكة المكرمة.

---

(١) ينظر: « تهذيب الأسماء واللُّغات » (٨٢/٣).
(٢) ينظر: « إعلام الساجد بأحكام المساجد » (ص ٦٥).

المبحث الأول:

فضائل البلد الحرام

المطلب الأول: فَضْل قَسَم الله -سبحانه- به:

مكَّة المُكرَّمة: منبع الإسلام، ومَحَجُّ الأنبياء والمرسلين الكرام، وموئل الإجلال والإعظام، على مرِّ الدهور وكرِّ الأعوام، وإلى ساعة القيام، اصطفاها الرَّحمن، وتَنـزَّل في جنبَاتِها القرآن، وفيها بعث سيِّد الأنام -عليه الصَّلاة والسَّلام- قد خصَّها المولى -تبارك وتعالى- بِفضائل جلِيلة، وخَصَائص كريمة جزيلة- على ما نسعد بالوقوف عليه، في هذا البحث العابق بطُيُوب مكة الزكية، ومنها قَسَمه -سبحانه- بها في مواضع من كتابه العزيز، تنبيهًا إلى عظمتِها، ورِفعةِ مَنْزِلَتِها؛ لأن القسَم بالشيء تنويه بِشأنه، وتفخيم لِمقامه، قال تبارك وتعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين:١-٣]، ووردَ اسم الإشارة -هنا- للدَّلالة على قرب مَنْزِلَتِه الأثيلة عِند الرَّحمن -تبارَك وتعالى-.

وفي موضع آخر أقسم -سبحانه- بالبلد الحرام، فقال جلَّ اسمه: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البلد:١-٢]. قال ابن كثير -رحمه الله-: إنَّ للهَّ أن يُقسم بِما شاء من خلْقه، وهو دليل على عظمتِه، وعظمة المقسوم به[1].

(١) ينظر: « تفسير القرآن العظيم » لابن كثير (٨/ ٣٠).

المطلب الثاني: فضل كونه خير البلاد وأحبُّه إلى الله – سبحانه- .

أَرْضٌ اخْتَارها الله موطِناً لِبَيْتِه المُبَارك، ومهوى لأفئدَةِ عِبَادِه المؤمنين، ومَوئلاً للطائعين والطائفين، أفلا تكون أَحَبَّ البلاد إليه، وآثرها لَدَيه؟! بَلى!! وتلك الفضيلة الجليلة، وَرَدَت بِها النُّصوص الصَّحيحة، ومن ذلك، قوله ﷺ: -سَاعة وقوفه بالحَزْورة[1]- « إنَّكِ لَخَير أرض الله، وأحبُّ أرض الله إلى الله، ولولا أَنِّي أُخرجْتُ منكِ ما خَرَجْتُ »[2].

وعن أبي ذرٍّ- رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: ((إن أحب البلاد إلى الله، البلد الحرام))[3].

وما ظنك -أخي الكريم- بأرضٍ هي خير أرض الله، وأحبُّ أرضٍ لله!! فيا لله كم لها من محبٍّ يُكابِد الشوق لها وضرامه، والنَّوى وسقامه!!

ومُقتضَى هذا الاختصاص والإيثار، أن تكون مكَّة المكرَّمة أفضل بلاد الدُّنيا في قلوب المسلمين: محبَّةً وتكريماً، واهتِمامًا وتعظيمًا، ورعَايةً في

(١) الحزوَرَة: الرابية الصغيرة. وهي-هنا-: سوق مكة القديم، دخلت في المسجد لما زيد فيه. وقال البلادي: ((هي: الرابية التي تقابل منتصف المسعى من الشرق)). ينظر:« أودية مكة » (ص ١٠٥)، « أخبار مكة » للأزرقي (٢/٢٩٤)، « النهاية في غريب الحديث » (١/٣٨).

(٢) أخرجه الترمذي برقم[٣٩٢٥] وصَحَّحه، وابن ماجه برقم[٣١٠٨].

(٣) أخرجه ابن أبي خيثمة في « التاريخ الكبير » (ص ١٢٥) برقم [٢٨] بإسناد صحيح، وينظر: « فضائل مكة الواردة في السنة » للغَبان (١/٢٣٦).

جميع الشّؤون وتقديماً، وأن تكون زينة العالمين، وأجمل بلاد الدنيا أجمعين.

المطلب الثالث : فَضْل دُعاء إبراهيم –عليه السلام- للبلد الحرام :

أولا: الدعاء بتحقيق التوحيد:

ومن فَضْل الله ومَنِّه على البلد الحرام، الدَّعوات المباركات والرجاءات الخالِدَات، التي ضَرَعَ بها خليل الرَّحمن –عليه السلام- إلى المولى –تبارك وتعالى- أن يَجعل مكة بلد الاستقرار والاطمِئنان، والتَّوحيد الخالص والإيمان، وذلك بتَنْزيه بَنِيه عن عبَادَة الأصْنام، وتجنيبهم الأوثان، وفي ذلك دَلالة على عظيم شأن التَّوحيد، وإبطال التَّنْديد، وكونُه أوَّل حقٍّ لله -تعالى- على العبيد، فأيُّ جُحودٍ وأيُّ نُكران أعظم من الشِرك بالبارِئ الدَّيان!؟

قال –سبحانه- عن إبراهيم –عليه السَّلام-: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم:٣٥-٣٦]، فتحقيق التوحِيد الخالص لله –تبارك وتعالى- وتَجْرِيده عن الشُّبهات، والشَّوائب والمُحْدَثات، أَهَمُّ ما يَجِب – على قُصَّادِ البلد الأمين- تحقيقه وإقامته، وعند الكعبة المشرفة خُصُوصًا، وفي سَائر الأوطان عُمومًا.

ثانياً: الدعاء بالرزق الرغيد:

ومن الحدب الشفيق على وُرَّاد البلد الحرام، لدى نبيِّ الله إبراهيم -عليه السلام- دعاءه ربَّه -سبحانه- أَنْ يَعْطِفَ بِالَمحَبَّةِ والشَّوق قلوب المؤمنين إلى هذه الدِّيار، وإن شطَّ بهم القرار، ويَرْزُق أهلها مِن الثَّمَرَات الطَّيِّبات الهنِيَّات، والأَرْزاق الوافرات، الباعثات على الحمد والشُّكر، قال -سُبحانه- عن نبِيِّه -عليه السلام-: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم:٣٧]. قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "لو قال: أفئدَة النَّاس لازْدَحم عليه فارس والروم واليهود والنَّصارى والنَّاس كُلُّهم، ولكن قال: ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ فاخْتُصَّ به المسلمون"(١). وقد أجَاب الله -سبحانه- دعوة خليله إبراهيم -عليه السلام- فَأحال الأرض القصِيَّة الجَرْدَاء، الماحِلة الغَبْرَاء، إلى أرض تُجْبى إليها شَتَّى الفواكه والغِلال، على السَّواء، في الصَّيف أوِ الشِّتاء، قال -تبارك وتعالى-: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص:٥٧].

قال العلامة ابن سعدي- رحمه الله- : ((فصار يُجْبَى إليه ثمرات كل شيء، فإنك ترى مكة المشرفة في كل وقت والثمار فيها متوفرة، والأرزاق

---

(١) ينظر: تفسير ابن جرير (١٧/ ٢٥).

تتوالى إليها من كل جانب))(١).

فلِلَّه ما أعظم هذا الفَضْل الذي تَزَيَّن به البلد الأمين، فَجعَل حُبَّهُ في القلوب مَكِين!!

المَطلب الرَّابع: فَضْل حُبِّ الرَّسول ﷺ للبلَدِ الحَرام:

ومِنَ الفضائل التي تطرَّز بها البلد الأمين، وازدَاد بها وَلَه العابدين، والذاكرين، حُبُّ الرَّسول ﷺ له، وتَعلُّقُه به، وإفْصَاحُه عن تلك المَشَاعر الرَّقيقة، الزَّكية العَميقة، فَعَن عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما- أن النبيَّ ﷺ قال –يُخَاطِب مكة- في وَجْدٍ لهيف، ووفاء شفيف: « ما أطيَبَك من بلدٍ، وأحَبَّكِ إليَّ، ولولا أَنَّ قومِي أخرجوني منكِ ما سَكَنْتُ غيركِ »(٢)، إنه الحب الآسر لمَغَاني الطفولة ومعارج الكُهولة، ولكن مِمَّن؟ من سيد البرية، وقدوة الإنسانية ﷺ .

ومتى طافت بِالرسول الكريم ﷺ مشاعر الحُبِّ والحنين للأماكن الشريفة، وأخذه الشوق لمَغَانيها المُباركة، دَعَا الله أن يُحَبِّب إليه المدينة، كَحُبِّه لمَكَّة التي استقرَّت في فؤادِه عليه الصَّلاةُ والسَّلام

---

(١) ينظر: « تيسير الكريم الرحمن » تفسير السعدي (١/ ٤٢٧).

(٢) أخرجه الترمذي برقم[٣٩٢٢]، وابن حِبَّان في « صحيحه » برقم[٣٧٠٩]، وصححه الحاكم.

فعن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ دعَا الله -سبحانه- فقال: « اللَّهم حَبِّب إليْنَا المدينة كَحُبِّنَا مَكَّةَ أو أشد »(١)، ومَا هذا الاستظهار إلاَّ دَليل الحُبِّ الغامر للبلد الحرام، للموطن الذي نَشأ بَيْنَ جَنبَاته، وتنـزَّل عليه الوحي في عَرَصَاته. وبِنَحْوِ هذا الحب، تَرْنُو إليه قلوب المسلمين باللهفة والاشتياق والتبجيل والاستباق. وفيمن أكرمه الله بالثَّواء في البلد الطيب واستنباطًا من الحديث السابق يقول المباركفوري -رحمه الله-: ((ينبغي للمؤمن ألَّا يَخْرُج من مكة إلا لضرورة دينية أو دنيوية))(٢)؛ اقتداء بالرسول في حب البقاء والانزعاج من الإخراج. على أن لأهل العلم في حكم المجاورة أقوال متباينة، أوسطها وملخَّصُها: الحبُّ والشوق في الإغْبَاب، لا الإكْبَاب، إلا لمن أيْقن الوفاء بحقِّ ذلك الجناب ، فيحسن له المقام ويستطاب.

المطلب الخَامس: فَضْل حُبّ الصَّحابة -رضوان الله عليهم- للبلد الحرام.

ومن الفضائل الجسام، التي هوت في القلوب الوالعة والعيون الهامعة استقرار حُبُّ البلد المعظم الحرام، في وجدَان الصَّحابة الكرام ﷺ فنظموا تلك المشاعر، وذلك الحنين، شعْرًا مُعَبِّرًا عن مكنونات نفوسهم ﷺ للبلد

(١) أخرجه البخاريُّ في « صحيحه » برقم[١٨٨٨]، ومسلم في « صحيحه » برقم [١٣٧٦].
(٢) ينظر:« تحفة الأحوذي » (١٠/ ٢٩٤).

الآمن الطاهر، فهاهو أبوبكر الصِّدِّيق ﷺ يَرْتجزُ قائلاً:

يا حَبَّذا مكَّـة مِن وَادِي   أرْضٌ بها أهلي وعُوَّادِي

أرض بها أمشِي بلا هادِي   أرْض بها ترْسخ أوتادِي(١)

وأنشد بلال- ﷺ-:

ألا ليْت شعري هل أبيتَنَّ لَيلَةً   بِـوَادٍ وحولي إذخرٌ وجَلِيلُ

وهل أرِدَن يومًا ميـاه مجنَّـةٍ   وهل يَبْدُوَن لي شامةٌ وطفيل(٢)

ووجْه الفضيلة في هذا الحُبِّ، مع كونه جِبلَّةٌ في الإنسان، الانبعاث العَقَدِيُّ الذي ربَّاهم عليه قدوتهم ﷺ صَوْب أزكى الأماكن والأوطان.

المطلب السَّادس: فضل كون البلد الحرام مأرز الإيمان:

أولاً: تعريف المأرز في اللُّغة:

المَأرِز: المَرْجع والمَلْجأ، وأصْلُها: أَرَزَ، إذا تجمَّع وتَضَامَّ. تقول: أَرَزَت الحَيَّة إلى جُحْرِها: إذا رَجعَت إليه وَلاَذَتْ به(٣).

---

(١) ينظر: « الإصابة في تمييز الصَّحابة » (٦/٧)، و« الاستيعاب » لابن عبد البر (٢/٢٢٩)..

(٢) ينظر: « شفاء الغرام » (١/٨٥)، و« القرى لقاصد أم القرى » (٦٦٠).

(٣) ينظر: « معجم مقاييس اللُّغة »، و« لسان العرب » مادة (أرَزَ).

ثانياً: فَضْل كَونه مأرز الإيمان:

ولِعِظم مكانَةِ البَلَدِ الحَرَام، وفضْلِه البَاهِر عن سَائر الأوطان، خُصَّ بِكَونِه مَأرز الإيمان ومَثابتُه، أي: إليه يَرْجِع وفيه يَجتَمع، وبه يلوذ أهل الإسلام والإيمان، زمن الفتن، والقلاقل والإحن، الدالة على اقتراب الساعة، ودليل ذلك قوله ﷺ فيما يرويه عنه عبدالله بن عمر –رضي الله عنهما-: « إنَّ الإسلام بَدَأ غريبًا وسَيَعُودُ غريباً كَمَا بَدأ، وهو يَأرِز بَيْن المَسْجِدَيْن كَما تأرِز الحَيَّةُ إلى جُحْرِها »(١).

ومَعْنَى غُرْبة الإسلام: أي: أنه كان غَريبًا في أول ظهوره؛ لِقلَّة المسلمين وضعفهم، وسيعود غريبًا في آخر الزَّمان؛ لِقلة أهل الإسلام؛ حِكْمةً من الله – سبحانه- ومَشِيئةً.

والمُرَادُ بالمسجدين: مكة المكرَّمة، والمدينة النبويَّة المنوَّرَة.

ومعنى أروز الإيمان بينهما: أنَّ أهل الإيمان ينضمّون إليهما، ويجتمعون فيهما، يَحدوهم في ذلك الإيمان، والاستقامة على شعَائر الدِّين، وحُبِّ معالم الإسلام، المجموعة في البلدين الطاهرين.

---

(١) أخرجه مسلم في « صحيحه » (١/١٣١) برقم[١٤٦].

ومعنى الأُروز: رجوع الإيمان في آخر الزمان إلى البَلْدَتين المُباركتين: مكة والمدينة، إذ منهما بدأ، وإليهما يعود، كَمَا تُغَادِر الحَيَّة جُحرها ثم ترجع إليه.

وهذا فضل عظيم للبلدَتين، وتنويه كريم بقدْرِهما، وجلال شأنهما؛ ولأنهما ومَا بَيْنَهما، مأرِز الإيمان، ومستقَرُّ الدِّين، وموئل الشريعة، ومهوى أفئدة المؤمنين الذين يُجدِّدون إيمانهم -عبر العصور- في ذيْنك المكانَيْن الطَّاهِرَين، وذلك بالزِّيارة والاعتمار، وأدَاء مناسك الحج للبَرِّ الغفَّار -سبحانه- وفي هذا الفضل -أيضًا- وَرَد حديث سعد بن أبي وقاصٍ ﵁ حيث قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إنَّ الإيمان بَدَأ غريبًا، وسيعود كما بَدَأ، فَطوبَى يومئذٍ للغرباء إذا فَسَدَ النَّاس، والذي نَفْس أبي القاسم بيَدِه لَيَأرِزَنَّ الإيمان بين هذين المسجدين، كما تأرِزُ الحيَّة في جُحْرِها »(١).

في هذا الحديث -والذي سبق- من أعلام نُبُوَّته ﷺ بِدَوام الإيمان في هاتين المَدِينتين واستِمرَاره، ورسُوخِه واستقرَارِه إلى قيام السَّاعة، وأنَّ مَنْ لاَذَ بِهما، أَمِن دَخائل الفتن، وشوائب المِحَن، التي تَخْدش الدِّين، وتثْلِم اليقين. وفيه تهنئة لأهل الإيمان العاضِّين على دينهم بالنواجذ، حتى غَدَوْا كالغرباء في ذلك الشأن والحال. وفيه- أيضا- تسرية وتسلية لهم، ولمن قبلهم.

---

(١) أخرجه أحمد في « مسنده » برقم[١٦٠٤]، وقال محقّقو المسند: إسناده جيِّد.

يُشار، إلى أنَّ الأُروزُ لَيْسَ له زمَنٌ مَخْصوص دُون زمَن، بل يشمل كلَّ العُصور، يُؤيِّدُه انْبعَاثُ المُسْلِمين، وحُبُّهم للمدينتين المَيْمُونتين إلى قيام الساعة.

المطلب السابع: فضل حفظ البلد الحرام من دخول الدَّجَّال:

وبعد أن وقفنا على فضيلة أُرُوز الإيمان، في أعقاب الزمان لبلد الكريم المنان، ومدينة سيد ولد عدنان- عليه الصلاة والسلام- ننتقل للحديث عن فضيلة حفظ مكة المكرمة من فتنة الدجال. مستهلين ذلك بالتعريفين: اللغوي والاصطلاحي، والله الموفق والمعين.

أولاً تعريف الدَّجَّال:

أ- في اللُّغة:

الدَّجال: على وزن فعَّال، صفة مبالغة، مِن الدَّجَل: وهو التَّغطية.

وكُلُّ شيء غَطَّيته، فقد دَجَلْته.

ومنه سُمِّيت دِجْلَة؛ لانتشارِها على الأرض، وتغْطِيَتِها ما فَاضت عليها.

وسُمِّي الكذَّاب دَجَّالاً؛ لأنَّه يُغطِّي الحَقَّ بِالكذب، ويَسْتُره بِسِحْرِه.

والدَّجل: الخَلط: يقال: دَجَّلَ، إذا لَبَّسَ ومَوَّه[١].

ب- في الاصطلاح:

هو رجل من اليهود، يخرج في آخر هذه الأمة، يدَّعي الربوبية، وقد خَوَّل الله- تعالى- السحر والإحياء والإماتة- امتحانا وابتلاء- فيَضِلُّ به كثير من الناس إلا من عصم الله سبحانه.

ثانيًا: فضل حفظه من الدَّجَّال:

لقد امتَنَّ المولى -تبارك وتعالى- على بَلَدِه المبارك بِمزيد الفضائل والإنعام، ووافر الخصائص والإكرام، ومن ذلك حِمايته من دُخول الدَّجال: منبع الكفر والضلال، والفتن والأوجال، الذي سَيَطأ نواحِي الأرض، ويلج أقطارها وأمصارها بِالتَّمويه والظُّلم والإرعاب، مستجرا للكفر والافتتان المنافقين وضعاف الإيمان،إلاَّ مكَّة المكَرَّمة والمَدينة المنوَّرة، فإنَّه يُصَدُّ عَنْهما، ويُحَالُ دُونَهما؛ تشريفًا من الله وتكريما، وذلك بما أقام عليهما الباري -سبحانه- من المَلائكة الحُرَّاس الأرصاد، الذين يكونون له بالمِرْصَاد، فعَن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النَّبِيَّ ﷺ قال: لَيْسَ من بَلَدٍ إلاَّ سَيَطؤُه

(١) ينظر: « الصِّحاح » و« تاج العروس » و« غريب الحديث » مادة (دَجَلَ).

الدَّجَّال إلاَّ مكَّة والمدينة، ليس له مِن نِقَابِها نَقْبٌ(١) إلاَّ عليه الملائكة صَافِّين يَحْرُسُونَها ثم تَرْجُف المَدِينةُ بأَهْلِها ثلاث رَجَفَاتٍ فَيُخْرِجُ الله كُلَّ كافر ومُنَافِق"(٢).

وعن أَبِي هريرة ﷺ أنَّ النَّبي ﷺ قال: المدينة ومكَّة محفوفتان بِالملائكة، على كُلِّ نَقْبٍ منها مَلَك، لا يدخُلها الدَّجَّال ولا الطَّاعون"(٣).

ففي هذين الحديثين -وسواهما- دَلالة على فضيلة البلد الحرام، والمدينة المنوَّرة عن سائر مدن المعمورة، وكون الدَّجال لا يدخلهما، ولا يَفْتِن أَهْلَهُما، إذْ فتْنته من أعظم وأشدِّ الفتن عِيَاذًا بالله، قال ﷺ: ((ما أهبط الله إلى الأرض، منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة، فتنة أعظم من فتنة الدجال))(٤). أليس في التَّشهُّد الأخير من كُلِّ صَلاةٍ أُمِرْنا أنْ نستعيذ بالله من فتنةِ الدَّجال؟! وما من نبي إلا وحذَّر أمته منه، وكان النبي ﷺ يستعيذ منه، وما ذلك إلاَّ لعظيم دَجَله وبلائه، وسُرْعة الانخِدَاع بِكَذِبه وافْتِرَائه

---

(١) النقب: المدخل، والطريق. وأصله: الطريق بين الجبلين. ينظر: « النهاية في غريب الحديث والأثر » مادة (نقب)، و« فتح الباري » (٤/ ٩٦).

(٢) أخرجه البخاري في « صحيحه » برقم[١٧٨٢]، ومسلم في « صحيحه » برقم [٢٩٤٣].

(٣) أخرجه أحمد في « مسنده » برقم[١٠٢٧٠]، وابن حِبَّان في « الثقات » برقم[٩٥٢٣]. وقال محقِّقوا المسند: صحيح.

(٤) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » برقم [٤٥٨٠]، وينظر: « مجمع الزوائد » (٧/ ٣٣٥).

الذي يُدْهِش العقول، ويُحَيِّر الألبَاب، أجَارَنا الله جميعًا منه، بِمَنِّهِ وكَرَمه، آمين.

المطلب الثامن: فَضْلُ المسجد الحرام:

توطئة:

حظي المسجد الحرام منذ قديم الدَّهر وحديثه، بمزيد العناية في عمارته وتوسعته، مِنْ قِبَلِ الخلفاء والسلاطين والأمراء، عبر الحقب والعصور، ولكن في العصر السعودي الزاهر، وتحديدا في العهد الميمون لخادم الحرمين الشريفين، الملك عبد الله بن عبد العزيز -وفقه الله ورَعاه- لقي المسجد الحرام أعظم الرعاية، وأبلغ العناية، حيث أنفق - حفظه الله- إنفاقا سخيا غَيْدَاقًا، على الحرمين الشريفين، وأسطع البراهين الناطقة والأدلة العابقة: توسعة الحرم المكي المعمارية التاريخية، الباهرة الأخَّاذة، العملاقة الجذابة التي تُعَدُّ مفخرة لكل مسلم، وعمل صالح مبرور، وإعمار عظيم، وإشراقة ساطعة في جبين التاريخ، إذْ لا يماثلها ولا يُضاهيها في سُمُوها ومكانتها، وإبداعها وإتقانها وجمالها، أَيَّ عمل آخر؛ خدمة لبيت الله الحرام، وابتغاءً لراحة ضيوف الرحمن، وتمكينهم من عباداتهم، وطاعاتهم، ومناسكهم، عبر أجواء مفعمة باليسر والطمأنينة، والسهولة والسكينة. زاده الله توفيقا وسدادًا، وجعل ذلك في ميزان حسناته، ورفعة

في درجاته، آمين.

أخي القارئ الكريم: وبعد هذه التوطئة، نعطف بِكَ إلى ما نحن بسبيله من تَفَيُّؤ ظلال فضائل البلد الحرام، وهنا نحن أولئك ندلُف إلى أجلِّ فضيلة وأعظمها، وأسماها وأكرمها، نَتَمَلَّى رَنْدَ نَفَحَاتِها، وعبير رَشَحَاتِها، كيف؟! وهي مِنَ الفضائل المُباركة الرَّفيعة، والآلاء المُشرقة البديعة، التي امْتَنَّ بها رَبُّنَا -تبارك وتعالى- على العالمين عمومًا، وعلى مكَّة المكرَّمة خصوصًا: المَسْجد الحرام، أفضل بقاع الأرض وأطهرها، وأسناها وأزهرها، ومَا سِوَاه المفضول، دَلَّ على ذلك المعقول والمنقول، كان، ولازال أبدًا، لِمكة -مهبط الوحي والروح الأمين ومَدْرج الأنبياء والمرسلين- مَنَاط التشريف والتَّعظيم، والإجلال والتكريم، نعم! المسجد الحرام، الزاخر بآيات الهداية والتوحيد، ودلائل التقوى والتَّفريد، المعظَّم في السِّرِّ والعلن، في الفرائض والسنن، وعلى الجوارح وفي القلب وما أَكَن، سِيَّان من جاور وقطَن، أو أقام وظَعَن، نعم! المسجد الحرام وما ضَمَّ مِنَ المَشاعِرِ الطَّاهِرَات السَّنيَّات، والآيات الجليلات البيِّنات: مَطْمَحِ الزُّوَّار والعُبَّاد، وأَمَل النُّسَّاك والزُّهَّاد، والحجيج القُصَّاد، وفي تعظيمها فوز العِبَاد، في الحياة ويوم المَعَاد. ومن تلك الآيات المُباركات، ذات الفضائل العظيمات: الكعبة المشرَّفة!!

فَهَلُمَّ – أخي المبارك- هَلُمَّ نَجْتَلِي أعْرافها الزَّكية، وطُيُوبها الشذيَّة، هَلُمَّ نُبْحِر في آية العِزِّ والجلال ،ومظهر الخشوع والجمال، لَعَلَّنا نَظْفَرُ بالرَّحمات والخيرَات الجِزَال، آمين.

أولاً: فَضْل الكعبة المعظمة:

الكعبة(١) المُشَرَّفة، مَثْوى الجلال وأنواره ، تَمَكَّن حُبُّها من مجامع القلوب ، فهان دون مرآها كُلُّ نصَبٍ وعناء ولُغوب، هي بيتُ الله المُعظَّم، الذي تَوَسَّط المَسْجد الحرام، بل مَرْكز العالم باتِّفاق الخُبَراء الأعلام، وحجَّتهم الشرعية، قوله تعالى: ﴿عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى:٧] فَقَصْدُ الكعبة المعظَّمة، سَبَبٌ للحُبُور، وزيَادة الأجور، ورِفعةِ الدَّرجات، ومَحْوِ السَّيِّئات، فَعَن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أنَّ رسول الله ﷺ قال: « أمَّا خُروجُك مِنْ بَيْتِك تَؤُمُّ -أي: تَقصِد- البَيْتَ الحرام، فإنَّ لَك بِكُلِّ وَطْأَةٍ تَطؤُها رَاحِلَتُك، يَكْتُبُ اللهُ لك بِها حَسَنَةً، ويَمْحُو عَنْك بِها سَيِّئَةً »(٢).

---

(١) سُمِّيت الكعبة كعبة؛ لِتَرْبِيعِها وارتِفاعِها عن الأرض، وكُلُّ بيتٍ مرتفع عند العرب فهو: كعبة. ينظر: « تهذيب الأسماء واللُّغات » (١١/٤)، « النِّهاية في غريب الحديث والأثر » مادة (كعب).

(٢) أخرجه عبد الرزَّاق في « مُصَنَّفه » بِرقم [٨٨٣٠]، وحسَّنه الألْبَانِي في « صحيح الجامع » برقم [١٣٦٠].

وقد خَصَّها الرَّحمن -عزَّ وجَلَّ- بالهِدَاية للعالَمِين والإكرام، وجمِّ الفضائل الفِخام، ومِنها:

١- أول بَيْتٍ وُضِع في الأرض لِعِبَادة الله وطاعته:

من أعظم خَصائص الكعبة الشريفة ، أنها أَوَّل بيت وُضِع في الأرض للعالمين لإقامة صلاتهم، ونسكهم، وطوافهم لَلَّذي ببكة، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ ﴾ [آل عمران:٩٦]، قال ابن سَعْدِيٍّ -رحمه الله-: يُخبر تعالى بعظمةِ بيته الحرام، وأنَّه أَوَّلُ البيوت التي وضعها الله في الأرض لِعِبَادته، وإقَامَةِ ذِكره، وأَنَّ فيه مِنَ البَرَكات وأنواع الهِدَايات، وتَنوُّع المصالح للعالمين شيء كثير، وفضل غزير"[١].

٢- الحج إليها، أحد أركان الإسلام:

ومن فضائل الكعبة المشرفة، والقبلة المنيفة المُيَمَّمَة، كون الحج إليها، أحد أركان الإسلام، ومبانيه العظام، حيث يقصدها المسلمون من أقصى الأقطار، بعد اقتحام لُجَج البحار، وتَكَبُّدِ عناء الأغوار، وركوب المشاق والأخطار؛ شوقًا لَسَناء البيت العتيق، وتضوُّعًا من مسكه الأَرِجِ الفتيق، ونهلا من سَلْسَال الغفران والرضوان، وعفو الكريم المنَّان!!

---

(١) « تيسير الكريم الرحمن » (ص٩٧١).

ولِشُهُود المَنافع العاجلة الطَّيِّبة الزَّاخرة ، وبُلُوغ الدَّراجات العلا في الآخرة ، قال -عز وجل - : ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ ولكن من استطاع وأبى، فقد خالف مولاه وعصى ، قال - تبارك وتعالى- في فرض الإتيان وحتمه : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة آل عمران : ٩٧]

ولله دَرُّ القائل في وصْفِه البديع الباهر:

يروق لي منظر البيت العتيق إذا   بدا لطرفي في الإصباح والطَّفَلِ
كأنَّ حُلَّته السَّوداء قد نُسِجَت   من حَبَّةِ القلْبِ أو من أسودِ المقَلِ

٣- بَركة الكَعْبة وهِدَايتُها للعالمين:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة آل عمران:٩٦] ومن ذلك وقْع جلاله في القلوب، وخشوع الأفئدة عند مَرْآه، وطيب ذكره على الأفواه، وهو مبعث تراحم المسلمين واتحادهم وتناصرهم ووِدادهم.

٤- فَضْل الطوافِ بِالكعبة:

ومِن الفضائل العظيمة المُناطة بالكعبة الشريفة: الطوافُ بها، ومَا فيه

مِن الدُّعَاء والتَّزْكية، والذِّكر والتَّرْقية، والإنابة والخشوع، والتَّضرع والدُّموع، وما له مِن عظيم الأجر والحسنات مِن المُتفضِّلِ الوَهَّاب، قال سبحانه: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج:٢٩] وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من طافَ سَبْعًا فهو كَعِدْلِ رَقَبة »(١) وهذه الشعيرة المباركة ، الفريدة في مظهرها، الجليلة في جوهرها ، لاتجوز ولا تصِحُّ إلا حول البيت العتيق ، ومن أتى بها عند القُبور أو القِباب ذات السُّتُور وغيرها، فقد ابتدع وأشركَ وضلَّ سواء السبيل، عياذا بالله . ولفضل الطواف العظيم جعله المولى –سبحانه- رُكناً من أركَان الحج والعمرة، لا يَصِحَّان إلاَّ به، قال جَلَّ اسمه: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج:٢٩].

ومِن فضائل الطَّواف الجِزَال، رفع الدرجات الحسنات، ومَحْو الخطيئات والسَّيِّئات -التي يُغْبَن مَن فرَّط فيها، وقد تيسَّرَت له-، قال ابن عمر –رضي الله عنهما-: مَن طاف بِالبيت كتب الله –عزَّ وجل- له بِكُلِّ خُطوة حسنة، ومحَا عنه سَيِّئة"(٢).

---

(١) أخرجه النسائي (٥/٢٢١)، وصَحَّحه الألباني برقم[٢٧٣٢].

(٢) أخرجه الترمذي برقم[٩٥٩]، وابن حِبَّان في « صَحيحه » برقم[٣٦٩٧]. وأورَده الألباني في « الصَّحيحة » (٦/٤٩٧).

فياله من عطاءٍ كريم، من ربٍّ رحيم!!

قال ابن رشيد البغدادي - رحمه الله-:

يطوف به الجاني فيُغْفَرُ ذنبه ويَسْقُطُ عـنه جُرْمَه وخطاياه

وكم لَذِّة أو فَرْحَة لطَوافِه فللَّه ما أحلى الطواف وأَهْناه

ولِفضل الكعبة وعظمَتِها عند الباري -سبحانه- جعل الطواف بها في أيِّ سَاعةٍ من ليل ونهار، ينهل منها المسلمون رفعة الدَّرجات وتكفير السَّيئات ونَيْلَ الرحمات، وعبَق النَّفحات، وجزيل المثوبات، قال جل اسمه: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾، وعن جبير بن مطعم ﷺ أنَّ النَّبي ﷺ قال: (يا بَنِي عبد مناف، لا تَمْنَعُنَّ أحَدًا طاف بهذا البيتِ، وصَلَّى أيَّ سَاعَةٍ شاء من لَيلٍ أو نهار)(١).

وهذا الحديث دليل على الترغيب في الإكثار من الطواف في الليل أو النهار، وقد ذهب بعض أهل العلم -رحمهم الله- إلى أن الطواف أفضل من صلاة النافلة ، لغير أهل مكة -أي : الحجاج والمعتمرين والزائرين - وهو قول الجمهور والمرويُّ عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وغيره .(٢)

---

(١) أخرجه أبوداود برقم[١٨٩٤]، والترمذي وصحَّحه برقم[٨٦٨].

(٢)« المجموع » (٥٦/٨).

وأما أدب الطواف وهيئته وسمته فقد أرشدنا إلى ذلك الحبيب المجتبى ﷺ في أوجز عبارة وألطف إشارة ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : ((الطواف صلاة فأَقِلُّوا فيه الكلام))(١)

فيا أخي الطائف المبارك كن في طوافك لله ذاكرا، خاشعا خاضعا ملازما السكون ظاهرا وباطنا مستشعرا جلال الله وشرف بيته، كي تفوز بالمثوبة والأجر، ومَحْوِ اللَّمَم والوزر . وفي الجملة، فإن فضائل الكعبة المشرفة، لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى، وخصائصها لا يسْتَقِلّ بها بَنَان وأَنَّى تُستقصَى!! أما قال فيها المصطفى ﷺ: ((ما أطيبك، وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك))!!(٢)

أخي الحبيب: أختم هذا المطلب بوصفٍ رَغِيبٍ للبيت المكرَّم المهيب، وهو من قول الإمام ابن القيِّم - رحمه الله- حيث قال:

إذا عايَنَتْه العَيْـنُ زال ظلامـها وزال

عــن القلــب الكئيــب التأَلُّمُ

فلا يَعْرِف الطرف المعاين حُسْنه

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم [١٠٩٧٦] وأورده الألباني في « صحيح الجامع » [٣٩٥٦]

(٢) أخرجه ابن ماجه في « سننه » برقم [٣٩٣٢].

إلى أنْ يعود الطرف والشوق أعظمُ

فمِن أجْل ذا كلُّ القلوب تُحِبُّه

وتخضع إجلالاً له وتُعَظِّمُ

ثانياً: فضل ترك استقبال الكعبة أو استدبارها عند قضاء الحاجة:

ولِحرمة الكعبة، وعظيم مَنْزِلَتها، نَهانَا النَّبي ﷺ أن نستقبلَها أو نستدبرَها عند قضاء الحاجة لقوله ﷺ: ((إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها، ولكن شرِّقوا أو غرِّبوا))(١). وبيان ذلك في الآتي : ذهب الجمهور إلى منع استقبال القبلة في الصَّحراء والفضاء، وإلى الإباحة دَاخل البُنْيان؛ إعمالاً للأحاديث الصَّحيحة التي ظاهرُها التعارض(٢). أمَّا وجه الفضل في ذلك، فما ورد عنه ﷺ من إحراز الحسنات، ومحو السيئات، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « من لَم يستقبل القبلة، ولَم يستدبرْها في الغائط كُتَب له حسنة، ومُحى عنه سيِّئة »(٣).

وهذا الأدب النبوي الكريم يجب على كل مسلم، في أي بقعة من

---

(١) أخرجه البخاري في « صحيحه » برقم [٣٩٤].

(٢) ينظر: « شرح السنة » للبغوي (١/٣٥٨).

(٣) أخرجه الطبَراني في « المعجم الأوسط » برقم [١٣٢١] وقال المنذري: ورواته رواة الصَّحيح. والحديث إسناده حسن.

الأرض، أن يتمثله، عند قضاء الحاجة؛ إكرامًا لقبلة المسلمين المشرفة.

ثالثاً: الكعبة المشرَّفة قِبْلة المسلمين أحياءً وأمواتاً:

جعلَ اللهُ الكعبةَ المعظمة، والقبلة المُيَمَّمَة قبلةَ المسلمين، لا قِبْلَةَ تُقبل منهم سواها، يتوجَّهون إليها في دُعائهم وصلاتِهم، قال -جلَّ جلاله- آمِرًا نبيَّه ﷺ: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، وجاءت السُّنة العطرة ببيان ذلك، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن الرسول ﷺ ركع ركعتين في قِبل الكعبة وقال: « هذه القبلة »[١]. وجهاتها الأربعة قبلة للمسلمين في شتَّى أصقاع المعمورة، قال -سبحانه-: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ ولا تَصِحُّ صلاة المسلم إلاَّ إذا توجّه إليها بعينِها لِمن كان قريبًا، وإلى ناحيتِها لمن كان بعيدًا؛ لقوله ﷺ: ((ما بين المشرق والمغرب قبْلَة))[٢].

ولَمَّا كانت الكعبة قبلة المسلمين أحياءً في صلاتِهم ودعائهم، كان من تكريم الله لهم، أن جعلها قبلتهم أمواتاً، فعن ابن عمر ﷺ قال: « قبلتكم

---

(١) أخرجه البخاري في « صحيحه » برقم [٣٨٩].
(٢) أخرجه الترمذي في « سننه » برقم [٣٤٢].

أحياءً وأمواتاً »(١). فالميّت يُجعل في قبره على جنبه الأيمن ووجهه مستقبلاً القبلة وعلى هذا مقابر المسلمين في كل البسيطة -رَحِمَنا الله جميعًا بِلطفِه وعفوه- آمين.

رابعاً: فضل استحباب الصَّلاة دَاخل الكعبة:

ومن الفضائل التي ازَّيَّنَتْ بها الكعبة المشرَّفة، استحباب صلاةِ النَّافلةِ دَاخلها؛ اقتداءً بالرسول ﷺ، مع انقطاع للدُّعاء، فعن سالم عن أبيه قال: دخل رسول الله ﷺ البيت هو وأسَامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة، فأغلقوا عليهم الباب فلمَّا فتحوا كنتُ أوَّل من وَلَج، فلقِيتُ بلالاً، فسألته: هل صلَّى فيه رسول الله ﷺ؟ قال: نعم! بين العمودين اليمانِيّين(٢).

فمن أكرمه الله -تعالى- بشرف الدخول للكعبة المعظمة، فليجتهد طوقه في الدعاء والإنابة؛ اقتداءً بالرسول ﷺ، حيث أغلق دونه الباب، وانصرف للصلاة والتضرع. ولْيَدْخُلْها في خشوع وذِكْر، وإجلالٍ وشكر؛ لأنها أشرف الأماكن وأعظمها.

ومن تشرف بالدخول للكعبة المكرمة، والتزم الدعاء دون الصلاة،

---

(١) أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » برقم [٨].

(٢) أخرجه البخاري في « صحيحه » برقم[١٥٢١].

جاز له ذلك ، لما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما : ((أن النبي ﷺ : ((دخل الكعبة وفيها سِتُّ سَوَارٍ، فقام عند سارية فدعا ولم يُصلِّ))(١)

المطلب التاسع: فضل مقام إبراهيم- عليه السلام :

أولاً :تعريفه:

مقام إبراهيم -عليه السلام- : هو الحَجَر الذي قام عليه نبي الله إبراهيم -عليه السلام- حين ارتفع بناء البيت، وشقَّ عليه تناول الحجارة، فكان يقوم عليه يبني، وإسماعيل -عليه السلام- يناوله الحجارة(٢) ، ضارعين إلى الله -سبحانه- في دعاءٍ رضيّ، ورجاءٍ نديّ ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.

ثانياً : موضعه:

يقع المقام في الجهة الشرقية من الكعبة المشرفة، قبالة بابها.

ثالثاً : فضائله:

ومن فضائل هذا الحجر المكرَّم : أن الله تعالى خَلَّد ذِكره، وأنزل فيه

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم[١٣٣١].
(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١١٣/٢).

قرآناً يُتْلَى إلى يوم القيامة، ورفع شأنه –سبحانه- فأمَرَ باتخاذه مُصلًّى، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة:١٢٥] فالصلاة خلفه- إثر الانتهاء من الطواف- ، هو الحدُّ الواجب في تعظيمه، فعن ابن عمر- رضي الله عنهما- أنه قال: ((قَدِم رسول الله محمد ﷺ فطاف بالبيت سبعًا، وصلَّى خَلْف المقام ركعتين، طاف بين الصفا والمروة وقال: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾))[١] وما سوى ذلك من التَّمسُّح والتقبيل وتخصيصه بالاستقبال في بالدعاء، فإنه لا يجوز، وهو تعَدٍّ منهِيٌّ عنه. أرشد الله الجميع لما يُحِبُّ ويَرْضى، آمين.

ومن فضائله أن جعله المولى-سبحانه- من الآيات الدالة على توحيده وعظمته، قال تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [آل عمران:٩٧]، قال أهل العلم: ومن تلك الآيات البيِّنات: أثر القَدَمين في الصَّخرة الصَّمَّاء آية وإلانة بعض الصَّخر دون بعض آية، وبقاؤه دون سائر آيات الأنبياء -عليهم السلام- آية لإبراهيم خاصة، وحفظه مع كثرة أعدائه من المشركين، وأهل الكتاب والملاحدة، آلاف السنين آية[٢]. ومن بديع فضائله

(١) أخرجه البخاري في « صحيحه » برقم [٣٩٥]، ومسلم في « صحيحه » برقم [١٢٣٤].
(٢) ينظر: « الكشاف » للزمخشري (٤١٥/١)، و« الأربعون المكية » (ص ١٥٥).

التي تلألأت إشراقا ، وزادت سَنًا وائتلاقا، قول رسولِ الله ﷺ: « الرُّكْنُ[١] وَالمَقَامُ[٢] يَاقُوتَتَانِ مِنْ يَوَاقِيتِ الجَنَّةِ »[٣]، وهذا فضل عظيم وعظيم امتن به القُدُّوس السَّلام على البلد الحرام.

إضافة إلى ما سبق ذِكْرُه من الفضائل المباركة ، حِفظُ الله - عزَّ وجلَّ له من اتخاذه صنما يُعبد ويُتقرب إليه من دون الله ، عبر تطاول العصور وفُشوِّ الشرك والإلحاد ، وكذا القول في الحَجَر الأسود ، وتلك حكمة ربانية بلغت من الإعجاز مداها، ومن التشريف والتفضيل منتهاها، فإنهما لو عُبدا من دون الله في الجاهلية ثم جاء الإسلام بتعظيمهما، باستلام الركن الأسود والصلاة خلف المقام، لقال المنافقون وأعداء الدِّين: إنَّ الإسلام أقرَّ احترام بعض الأصنام وأنه لم يَخْلُص من شائبة الشرك- ولتمسك بعبادتهما من كان يعبد أحدهما مِن قبل)[٤]

لا نزال في تَعْدَادِ الفضائل الكرام، للمقام الرفيع المقام، ومن ذلك كون إبراهيم الخليل – عليه السلام- بعد أن أَتَمَّ بناء البيت أمره المولى-

---

(١) « الرُّكْن »: أي: الحَجَر الأسود.

(٢) « المَقَام »: أي: مقام إبراهيم –عليه السلام-.

(٣) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (١/٦٢٧)، برقم (١٦٧٨). وابن حبان في « صحيحه » (٩/٢٤)، برقم (٣٧١٠). وصححه الألباني في « صحيح الجامع » ، برقم (٣٥٥٩).

(٤) «مقام إبراهيم -عليه السلام» محمد طاهر الكردي (ص١٩٢) .

سبحانه- بالأذان في الناس بالحج، قال تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ فقام عليه السلام على المقام وأذَّن. عن عباس- رضي الله عنهما- قال: ((قام إبراهيم على الحَجَر فقال: « يا أيها الناس كتب عليكم الحج ». فأسمع من في أصْلاب الرجال، وأرحام النِّساء. فأجابه من آمن، ومن كان سَبَق في علم الله أن يحج إلى يوم القيامة : لبَّيك اللهم لبَّيك))(١).

المطلب العاشر: فضل الحَجَر الأسود:

ها نحن أولئك -أخِي المبارك- لا نزال نواصل سَيْرَنا الميمون شطر فضائل البلد الحرام، ومنها: الحجر الأسود، وما له من الفضائل الشارقات ، والخصائص البارقات ، فنقول وبالله التوفيق .

أولاً : تعريفه: الحجر الأسود: هو الحجر الموجود في الرُّكن الشَّرقي من الكعبة المشرَّفة، على ارتفاع متر وعشرة سنتمترات من أرض المطاف، وقد جعل الله فيه آيات بيِّنات، ودلائل نيرات، ومن ذلك: أن الطَّواف لا يبدأ إلاَّ من محاذاته، ومن فضله العظيم كونه من الجنَّة، فعن ابن عباس – رضي الله عنهما- أنّ النَّبِيَّ ﷺ قال: « الحجر الأسود من الجنَّة »(٢).

---

(١) ينظر: « فتح الباري » (٤٠٦/٦) وصحح ابن حجر إسناده.

(٢) أخرجه النسائي في « جامعه » برقم [٢٩٣٥]، وصَحَّحه الألباني بِرقم[٢٧٤٨].

وأمَّا صِفتُه المشرقة الباهرة، التي أُنزل عليها من الجنة، فهي على ما يصفها لنا الحبيب ﷺ، فعن عبدالله بن عباس -رضي الله عنهما- أنَّ النبي ﷺ قال: « نَزَل الحجر الأسود من الجنَّة، وهو أشدُّ بَيَاضًا مِن اللَّبَن، فَسَوَّدَته خطايا بَني آدم »(١).

ذلك أثر الخطايا في الحجر، فتأثيرها في القلوب أعظم وأوقع، فوجب علينا اجتنابها. والله المستعان!

ومن فضائله العظام ومكارمه الفِخَام، كون مسحه يحط الخطايا حطًّا، لقوله ﷺ: ((إن مسحهما- يعني: الحجر الأسود والركن اليماني- يحُطُّ الخطايا حَطا))(٢) فيالها من منَّة سارَّة، وبالفضل دارَّة!!

وعند الركن تنحسر الخطايا مُلَمْلِمَةً جوانحها انهزاما
ففي ركن الحطيم له ائتلاقٌ إذا رام الحجيج له استلاما

ومن فضائله، أنه يشهد يوم القيامة لمن استلمه، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: « والله لَيَبْعثَنَّ الله الحجر يوم القيامة،

(١) أخرجه الترمذي في « سننه » برقم[٨٧٧]، وذكره الألباني في « صحيح الجامع » برقم[٦٩٤].
(٢) أخرجه الترمذي في « سننه » برقم[٩٥٩]، والنسائي في « جامعه » برقم[٣٩٣٠]، وذكره الألباني برقم[٢٧٣٢].

له عَيْنان يبصِر بهما، ولِسان ينطق به، يشهد على من استلمه بحَقٍّ »(١). فيا لله ما أعظمها من شهادة، تحقّقُ يوم القيامة الفوز والسعادة!! وهنيئًا لمن استلم الحجر الأسود اقتداءً، وطوبى لمن قبّله اقتِفاء!!

أخي القارئ الكريم: ومِمّا يحسُن التنبيه إليه، كونُ بعضِ الطائفين -هدَاهم الله- يُزاحِمون ويشتَدُّون في ذلك عند الحجر الأسود، ويبلُغ بهم الأمر لأذِيَّة إخوانهم المسلمين، وقد جاء في هذا الشأن التَّوجيه الرَّشيد، والبيان الرَّفيق السَّديد من الحبيب ﷺ، وذلك أنَّ عمر الفاروق رضي الله عنه كان يزاحم على الرُّكن الأسود، وكان رضي الله عنه قويا، فقال له النبي ﷺ: « يا أبا حَفْصٍ أنت رجل قوي، وإنك تُزاحم على الرُّكن فتؤذي الضعيف، فإذا رأيت خلوة فاستلمه وإلاَّ فكَبِّر وامض »(٢). ومقتضى ذلك: الرِّفق واللِّين: خلقان كريمان يجب أن يتراحم بهما المسلمون، وخصوصًا في مواطن العبادة والذِّكر والطَّاعة.

ومن الأخطاء التي يجب التنبيه إليها، في شأن الحجر الأسود، كون

(١) أخرجه أحمد في « مسنده » برقم[٢٦٤٣] وابن حبان في « صحيحه » برقم[٣٧١٢]، والترمذي في « سننه » برقم[٩٦١] وحسّنه.

(٢) ينظر: « أخبار مكة » للأزرقي (١/٣٣٣)، وأخرجه عبد الرزّاق في « مُصنَّفه » (٥/٣٦).

بعض المسلمين- عفا الله عنهم- يعتقدون نَفعَه وضُرَّه؛ لكونه خُصَّ بالتَّقبيل والاستلام، وهذا خَطأ ذريع يَجِب تصْحيحه ورَفعه؛ لأنه يثلم العقيدة- عياذًا بالله- إذ ما علينا في هذا المقام إلا الاتباع، واجتناب الابتدَاع، قال العلامة ابن عثيمين- رحمه الله-: « من الأخطاء التي يرتكبها بعض الطائفين، أنهم يظنون أن استلام الحجر والركن اليماني، للتبرك، لا للتعبد، فيتمسَّحون به تبرُّكًا. وهذا بلا شكّ خلاف ما قُصِدَ به، فإن المقصود تعظيم الله- عز وجل- »[(١)] ولنا في المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه- خير قدوة وأسوة، وكذلك صحبه الميامين الكرام –رضوان الله عليهم-، فعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال حين قَبَّل الحجر الأسود: « إنِّي أعلم أنك حجر لا تَضُرُّ ولا تنفع، ولولا أنِّي رأيت رسول الله ﷺ يقبّلك ما قَبَّلْتك »[(٢)]، وتلك هي حُدود الإتباع التي أُمِرَ بِها المسلمون دون زيادة أو نُقصان. وفي هذا القول العُمَرِي المبارك مَنهج عَمَلِيٌّ لاقتِفاء السُّنة واتبَاعِها، والوقوف عند معالِمِها، دون غُلُوٍّ في مكارمها، ومن ذلك: كَمَن يغلو في تسمية الحَجَر الأسود، بالحجر الأسعد، وهذا الإطلاق لا أصل له، ولا مستند له من الكتاب أو السُّنَّة

---

(١) ينظر: « فقه العبادات » (ص ٣٤٨).

(٢) أخرجه البخاري في « صحيحه » برقم [١٥٢٠].

وإنما التسمية الصَّحيحة، الوَاردة في الشَّرع، هي: الحجر الأسود والواجب الانتهاء عندها. وفي الختام يطيب لي أن أسوق القول الذهبي للإمام الذهبي في فضيلة التقبيل وسُنِّيته، حيث قال – رحمه الله-: « وقَبِّل حَجَرًا مُكَرَّمًا نزل من الجنة، وضَعْ فَمَك لاثِمًا مكانًا قَبَّله سيد البشر ﷺ بِيَقين فَهَنَّأَك الله بما أعْطاك »[١] والله وليُّ التَّوفيق والسداد.

المطلب الحادي عشر: فضل الرُّكن اليمانِي:

أولاً: تعريفه: الرُّكن اليماني هو: الحَجَرُ الموجود في الزَّاوية الجنوبيَّة الغربيَّة من الكعبة المشرَّفة، وسُمِّي بذلك؛ لأنه في اتِّجاه بلاد اليمن. وهو رُكْن شريف فاضل؛ لأنَّه من قواعد إبراهيم عليه السَّلام.

ثانيًا: فضائله: ومن فضائله: أنه يُسَنُّ استِلامه والمَسْح عليه للطَّائف اقتِدَاءً بالرَّسول ﷺ دون زيادَة في ذلك أو غُلُوّ، فلا يُقَبَّل ولا يُشار إليه بِاليد، فعن ابن عمر –رضي الله عنهما- أنَّه قال: « لَمْ أَرَ رسول الله ﷺ يمسح مِن البيت إلاَّ الرُّكنين اليمانِيين »[٢][٣].

---

(١) « سير أعلام النبلاء » (٤٢/٤).

(٢) أخرجه البخاري في « صحيحه » برقم [١٥٣١] ومسلم في « صحيحه » برقم[١٢٦٧].

(٣) قال الإمام النووي- رحمه الله- « للكعبة الكريمة أربعة أركان: الركن الأسود، ثم الركنان الشاميان، ثم الركن اليماني. ويقال للأسود واليماني: اليمانيان- بتخفيف الياء- ويجوز

ولِفضله العظيم الذي امتنَّ الله به على وَفْدِه الكريم من الزّوار والطائفين، والمعتمرين والحُجَّاج، كَوْن مُسْتَلِمِه يَحُط عنه الخطايا حَطًّا، فعن عُبَيد بن عُمير أنه قال لابن عمر -رضي الله عنهما-: ما لِي لا أراك تَسْتلم إلاَّ هذين الرُّكنين: الحجر الأسود والرُّكن اليماني؟ فقال ابن عمر -رضي الله عنهما-: إنْ أفعل، فقد سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن مَسْحَهُما -يعني: الحجر الأسود والرُّكن اليماني- يَحُطُّ الخَطايا»[1]. وفي هذا الحديث دليل على أنَّ الرُّكن اليماني مخصوص بهذا الفضل، والحمد لله على كَرَمه وجُودِه.

ومن الدعاء المشروع للطائف، إذا جاوز الركن اليماني، قوله: ((ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار))[2]. فقد صحَّ بذلك الخبر عن سيِّد البَشَر ﷺ.

المطلب الثاني عشر: فضل ماء زمزم:

تشديدها على لغة قليلة» ينظر: «المجموع» (٣٦/٨).

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم[٩٥٩]، والنسائي في «جامعه» برقم[٣٩٣٠]، وصححه الألباني برقم[٢٧٣٢].

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم [١٥٤٣٥] وأبو داود في «سننه» برقم [١٨٩٤] وصححه الألباني.

ومن الفضائل العظام، التي تطرز بها البلد الحرام، وأعجزت الأنام، وأبهجت أهل الإسلام: ماء زمزم، وهو: العين المباركة التي فجَّرها جبريل - عليه السلام - لإسماعيل، وأمه هاجر - عليهما السلام.

ولهذا الماء الشريف المعجز فضائل متعددة كثيرة، وخصائص متنوعة غفيرة منها: ما أخبر بها النبي ﷺ أنه خيرُ ماءٍ على وجه الأرض وهو طعامُ طُعْم، وشفاءُ سُقْم لما جاء عَنِ ابن عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما- أَنَّ رسول الله ﷺ قال: « خَيْرُ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مَاءُ زَمْزَمَ، فيه طَعَامٌ مِنَ الطُّعْمِ، وَشِفَاءٌ مِنَ السُّقْمِ »(١). ، وهو لما شُرِب له، لما جاء عن جَابِرِ بنِ عبدِالله -رضي الله عنهما- قال: سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: « مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ »(٢).

وكيف لا يكون كذلك، وفيه من الخصائص المباركات والمنافع

---

(١) أخرجه الفاكهي في « أخبار مكة » (٢/٤١)، برقم (١١٠٦)؛ والطبراني في « الأوسط » (٤/١٧٩)؛ و« الكبير » (١١/٩٨)، برقم (١١١٦٧). وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب والترهيب » (٢/٤٠)، برقم (١١٦١)؛ و« السلسلة الصحيحة » (٣/٤٤)، برقم (١٠٥٦).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣/٢٧٤)، برقم (١٤١٣٧)؛ وأحمد في « المسند » (٣/٣٥٧)، برقم (١٤٨٩٢)؛ والأزرقي في « أخبار مكة » (٢/٥٢)؛ والفاكهي في « أخبار مكة » (٢/٢٧)، وصححه الألباني في « صحيح ابن ماجه » برقم (٢٥٠٢)، و(الإرواء) (٤/٣٢٠)، برقم (١١٢٣).

الناميات، والفضائل الهاميات التي صحت بها النقول والمعجزات التي أذعنت لها العقول ! ومن فضائله: أن الملائكة غسلت قلبَ النبي ﷺ بماء زمزم قبل المعراج، فعن رسول الله ﷺ أنه قال: ((فُرِجَ سقْفِي وأنا بمكة فَنزل جبريل – عليه السلام- فَفَرَج صدري، ثم غسَله بِماءِ زمزم، ثم جاء بِطَسْتٍ من ذهب ممتلِئ حكمةً وإيمانًا، فَأفرَغها في صدري ثُمَّ أطبقه، ثم أخذ بيدي، فعَرَج إلى السماء الدنيا))[١].

قال ابن القَيِّم –رحمه الله-: « ماء زمزم سيِّد المياه، وأشرَفُها، وأجَلُّها قَدْرًا، وأحَبُّها إلى النُّفُوس، وأغْلاها ثَمَناً، وأنْفَسَها عند الناس، وهو هَزْمَةُ جِبْرِيل –ضَرْبَةٌ بِرِجْله- وسُقْيَا الله إسْمَاعِيل »[٢].

وكان من هدي النبي ﷺ وسُنَّته الاستشفاء بماء زمزم، لما جاء في حديث أبي ذرٍّ ﷺ، أَنَّ النبي ﷺ قال –في ماء زمزم-: « إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ »[٣]. فكان هذا تطبيقًا عمليا منه ﷺ لِما قاله من كونه شفاء سُقم، ومما ورد في ذلك الهدي ما جاء عن عائشة –رضي الله عنها- قالت: كان رسولُ الله ﷺ: « يَحْمِلُ مَاء زَمْزَمَ فِي الأَدَاوَى وَالقِرَبِ، وَكَانَ يَصُبُّ عَلَى المَرْضَى

---

(١) أخرجه البخاري في« صحيحه » برقم [١٦٣٦].

(٢) « زاد المعاد » (٤/٣٩٢).

(٣) أخرجه مسلم في« صحيحه » برقم (٢٤٣٧).

وَيَسْقِيهِم »[١].

قال الإمام ابن القيِّم – رحمه الله-: « وقد جَرَّبت أنا وغيري من الاستشفاء بماء زمزم أمورًا عجيبة، واستشْفيتُ به من عدة أمراض فَبَرِئْتُ بإذن الله. وشاهدت من يتغذى به الأيام ذوات العدد، ولا يجد جوعًا »[٢] .

ولله دَرُّ الشاعر في وصف الحجيج وزمزم ، حيث قال :

تناجيك من أحلامهم لوعة الصَّدَى وقد نهلوا الرقراق من زمزم شُرْبَا

ولا يستوي البحران هذا شرابه أجاج وهذا ماؤه قد صفا عذْبَا

وقد زادت العناية الفائقة، والرعاية الرائقة بماء زمزم ، في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز –حفظه الله ورعاه- وذلك بإنشاء المشروع العملاق (سقيا زمزم) في جهة (كُدَي) في مكة المكرمة، الذي يَسَّرَ على الحجاج والمعتمرين والقاصدين والزائرين، الانتفاع والارتواء من هذا الماء المبارك. جعل الله ذلك في موازين حسناته، آمين.

المطلب الثالث عشر: فضل الحِجْر:

---

(١) أخرجه البخاري في « التاريخ الكبير » (١٨٩/٣)، برقم (٦٣٩)؛ والفاكهي في « أخبار مكة » (٤٩/٢)، برقم (١١٢٦)، وصححه الألباني في « السلسلة الصحيحة » (٥٤٣/٢)، برقم (٨٨٣).

(٢) « زاد المعاد » (٤٠٦/٣).

أولا: تعريف الحَجَر :

الحِجْر: بكسر الحاء، وسكون الجيم: الحائط الواقع شمال الكعبة المشرفة من جهة الميزاب، وهو على شكل نصف دائرة[١]،ارتفاع جدارها (١،٢٥) وعرضها يتراوح بين (١،٤٦م) و(١،٦٢م). أما المسافة التي هي منتصف جدار الكعبة الشمالي إلى وسط تجويف الحِجْر فقدِّرت بـ(٨،٤٦٥ م). ثمانية أمتار وستة وأربعون ونصف سنتمتراً.

ثانيًا: أسماء الحِجْر:

الجَدْر: بفتح الجيم، وسكون الدال: لقوله ﷺ: ((......فأخاف أن تنكر قلوبهم أن أُدخل الجَدْر في البيت))[٢].

الحطيم: الحِجْر المُخْرَج من الكعبة؛ لأن البيت رُفِع، وتُرِكَ هو محطوما، أي: دون إقامةٍ وبناء.

وحطيم: على وزن فعيل، بمعنى: مفعول، كقتيل، بمعنى: مقتول .

ودليل هذا الاسم قوله ﷺ : ((بينما أنا في الحطيم))[٣]

---

(١) ينظر: « أخبار مكة » للأزرقي (١/ ٣٢٠)، و« تاريخ الكعبة المعظمة » للطريقي (ص ١٨٣).

(٢) أخرجه البخاري في « صحيحه » برقم [١٥٨٤].

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم [٣٦٧٤].

كما يطلق الحطيم على ما بين الركن والمقام، وزمزم والحِجْر؛ حيث يتحطَّم الناس ويتدافعون للدعاء[١].

وأما سبب تسميته حِجرا؛ فَلأن قريشاً تَرَكَت من قواعد إبراهيم -عليه السَّلام- لقصور النفقة، فَحَجَرت على ذلك المكان - جعلت له حاجزا- ليُعْلَم أنه من الكعبة[٢].

هل الحِجْر كله من الكعبة؟

ذهب جمهور العلماء إلى أن الحِجْر ليس كله من الكعبة؛ لأن قريشاً لما قصرت بهم النفقة، لم يتمكَّنوا من إتمام البيت على قواعد إبراهيم - عليه السلام- فكان النقص زهاء ستة أذرع، أدخلت في الحجر، دليل ذلك قوله ﷺ: ((يا عائشة، لولا أن قومك حديثو عهد بشرك لهدمت الكعبة فألزقتها بالأرض، وجعلت لها بابين: باباً شرقيا، وباباً غربيا، وزدت فيها ستة أذرع من الحِجْر، فإن قريشاً اقتصرتها حين بنت الكعبة))[٣].

قال الإمام الشافعي -رحمه الله-: وسمعت عددا من أهل العلم من

---

(١) ينظر: « النهاية في غريب الحديث والأثر » مادة (جدر) و(حطم)، و« معجم البلدان » (٢/٢٧٣).

(٢) ينظر: « معجم البلدان » (٢/٢٢١).

(٣) أخرجه مسلم في « صحيحه » برقم [١٣٣٣].

قريش يذكرون أنَّه تُرِك من الكعبة في الحِجْر نحو ستة أذرع[١].

وتقدَّر الستة أذرع، بثلاثة أمتار بالمقاييس الحديثة.

وعليه، فأغلب الحِجْرِ من الكعبة المشرفة، فيكون له، ما لها من الفضائل والأحكام.

ومما تطيب الإشارة إليه، أن الحِجْر تم تجديد رخام أرضيته وجدرانه وتلميع فوانيسه، سنة (١٤١٧هـ) أثناء الترميمات والإصلاحات التاريخية الشاملة للكعبة المشرفة في عهد الملك فهد بن عبد العزيز -رحمه الله. وكان أول من رخَّمَ جدار الحِجْر، أبو جعفر المنصور -رحمه الله- سنة (١٤٠هـ)[٢]. وتَمَّ إحْدَاثُ أوَّل بَابٍ في التَّاريخ لِلْحِجْرِ، هذا العام ١٤٣٤هـ وبِمَا يَتَوافَق وجلال الكعبة، وجَمال عِمَارَة المسجد الحرام، بِتَوجيه مِن معالي الرَّئيس العام لشؤون الحرمين الشريفين، فضيلة الشيخ عبد الرحمن السديس -وفقه الله وسدده- وذلك تَنْظِيمًا وتيسيراً لدخول المُصَلِّين وخروجهم، واجتِنابًا للتَّدَافع والتَّزاحم بينهم.

ثالثا: فضل الحِجْر:

---

(١) ينظر: « الأم » للشافعي (٢/١٥٠).

(٢) ينظر: « إتحاف الورى بأخبار أم القرى » (٢/١٧٧).

لما اشتمل الحِجْر على جزء من الكعبة -كما سبق معنا- فإنه يحمل فضلها وشرفها. وكم من المسلمين الذين يتمنَّون الدُّخول للبيت العتيق للتشرف بالصلاة فيه، مؤتسين – في ذلك- بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. وها هي تحدثنا عن أمنيتها فتقول- رضي الله عنها- : كنتُ أُحِبُّ أن أدخل البيت فأصلي فيه، فأخذ رسول الله ﷺ بيدي فأدخلني الحِجْر وقال: ((صلي، في الحجر إن أردت دخول البيت، فإنما هو قطعة من البيت ولكن قومك استقصروه حين بنوا الكعبة، فأخرجوه من البيت))[1].

فمن صَلَّى في الحِجْر- متحريا ثلاثة أمتار دون جدار الكعبة- ، نال فضل الصلاة في الكعبة المشرفة، - بحمد الله- وتطلُّبًا لهذا الفضل وتَقَصِّيًا للمكان المبارك ما زال المسلمون يتسابقون لذلك المكان، ويتنافسون لإحراز فضل الصلاة فيه، بل، ويتواصون بذلك، ويتحافون على ذلك. ومثاله: كان ابن عباس –رضي الله عنهما- يقول لأصحابه: صَلُّوا في مُصَلَّى الأخيار، واشربوا من شراب الأبرار. قيل: وما مُصَلَّى الأخيار؟ قال: تحت الميزاب- عنى: الحجر- قيل: وما شراب الأبرار؟ قال: ماء زمزم[2].

---

(١) أخرجه أبو داود في « سننه » برقم [٢٠٢٨]، والترمذي في « جامعه » برقم [٨٧٦]، وقال: حسن صحيح.

(٢) ينظر: « أخبار مكة » للأزرقي (١/ ٣١٨) وسنده صحيح.

وكان سعيد بن جبير –رحمه الله- إذا قضى طوافه دخل الحجر وصلى فيه، ويفعل ذلك علي بن الحسين -رحمه الله-[١].

تلك شذرات نديَّات، عن فضل الحجر، طاب ثَمَرُها ورَاق، لكل محبٍّ للبيت الحرام ومُشتاق.

أختم هذا المطلب بذِكرِ خطَأٍ شائع وجب تقويمه وتصحيحه، وهو اعتقاد كثير مِنَ المسلمين أنَّ إسماعيل – عليه السلام- مدفون في الحِجر – ولذلك نسب إليه- وكذا غيره من الأنبياء عليهم السلام. وهذه المسألة العقدية المذهلة!! عجَّت بها جلُّ الكتب التي أرَّخت للمسجد الحرام، وقد أرسلت – من أسف- دون تمحيص ونقد دقيقين ، ولكن- بحمد الله فنَّدها الشيخ د.وَصِيُّ الله عباس[٢] حيث أعمل مِبْضَعَ الجرح والتعديل في مروياتها وأسانيدها، فكشف ضعفها ووهاءها، وكونها حالكة، لا تثبت إزاء نور العقيدة الصحيحة التي أرسل بها أنبياء الله – عليهم السلام-، فجزاه الله خيرا .

المطلب الرابع عشر : فَضْلُ المُلْتَزَم:

---

(١) ينظر: « المصنف » لابن أبي شيبة (٢/٤٩٦).

(٢) « المسجد الحرام تاريخه وأحكامه » وصي الله عباس (ص ٣٠٦).

أولاً: تعريفه: الملتزم -بِفتح المـُعْجمة-: مكان الالتزام من الكعبة بين بابِها والحَجَر الأسود. وعرفه ابن عباس ﷺ فقال: « الملتزم بين الرُّكن والباب »[١].

وسُمِّيَ بالمُلتَزَم لكثرة التزام السَّلف والناس له، والوقوف عندَه.

ومن أسمائه: « الملتزم والمُدَّعى والمتعوَّذ » لِمَا ورَد ذلك عن ابن عباس ﷺ وأما ذَرْعه - فكما قال الأزرقي- مقدَار أربعة أذرع. أي: نحو المِترَين.

ثانيًا: فضله:

ومن فضائل هذا المكان المبارك، ما يُرْجَى فيه من إجابة الدُّعاء واستحباب التِماسه هنالِك، لورود الآثار والأخبار الدَّالة على تلك الفضيلة، فعن أبي الزُّبير- ﷺ- أنَّ ابن عباس -رضي الله عنهما- كان يَلْزَم ما بين الرُّكن والباب، ويقول: « لايلزم ما بينهما أحدٌ يسأل الله شيئًا إلاَّ أعطاه إيَّاه »[٢]، فيا لها من فضيلة ما أعظمها!!

ومِمَّا يدلُّ على أنَّ المُلْتَزَم موطن دُعاء وتضرُّع- وحسبنا بها من

(١) أخرجه عبدالرزاق في « مصنفه » برقم[٩٠٤٧]، ومالك في « موطئه » برقم[٩٥١].
(٢) أخرجه البيهقي في « سننه » برقم[٩٥٤٧].

فضيلة- ما رواه محمد بن السَّائب بن بركة عن أمِّه، أنَّ عائشة -رضي الله عنها- أرسلت إلى أصحاب المصابيح فأطفؤوها، ثم طافت في سِتْرٍ وحجاب. قالت: وطُفْتُ معها، فطافت ثلاثة أسْبُع، كلَّما طافت وقفَتْ بين الباب والحِجْر تدْعو. وفي رواية: كُلَّما فَرَغَتْ من سَبْع تعَوَّذت بين الرُّكن والباب[1].

ولِمَن قصد الدُّعاء عند الملتَزَم، فإنه يُشرَع له إلْصَاق صَدْره وخدِّه بالجدار، مع بَسْطِ يديه، ودليل ذلك ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدِّه قال: « طُفْتُ مع عبدالله بن عمرو ﷺ فلمَّا فرغْنا من السَّبع ركعنا في دُبر الكعبة، فقلت: ألا نتعوَّذ بالله من النَّار؟ قال: أعوذ بالله من النَّار، قال ثم مَضى فاستلم الرُّكن، ثم قام بين الحَجَر والباب، فألصَق صدره ويديه وخدَّه إليه، ثم قال: هكذا رأيتُ رسول الله ﷺ فَعَل »[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: « وإن أحَبَّ أن يأتي الملتزم وهو ما بين الحَجَر الأسود والباب، فيضع عليه صدره ووجهه وذراعَيه

---

(١) ينظر: « أخبار مكة » للأزرقي (١/٣٥٠)، و« أخبار مكة » للفاكهي (١ / ١٦٣).

(٢) أخرجه أبوداود في « سننه » برقم[١٨٩٩]، والبيهقي في « سننه » برقم[٩١١٦]، والأزرقي في « أخبار مكة » (١/٣٤٩)، وإسناده صحيح.

وكفَّيه ويدعو، ويسأل الله تعالى حاجته، فَعَل ذلك »[١].

ولكن دون أن يطيل المكث والبقاء، فيَشُقَّ على إخوانه المسلمين بالوقوف والانتظار، بل يُفسِح لهم في المكان؛ ليتمكَّنوا من بلوغ الفضل الذي بَلَغَه.

المطلب الخامس عشر: فضل الصفا والمروة:

أولا: التعريف :

الصفا : جبل صغير يقع في الجهة الجنوبية الشرقية من الكعبة المشرفة، ويبعد عنها بـ(١٣٠م) ومنه يبدأ السعي .

والمروة: جبل صغير، يقع في الجهة الشمالية الشرقية من الكعبة، ويبعد عنها بـ(٣٠٠م) وعنده ينتهي السعي[٢] .

ثانيا: فضائلهما:

ومن فضائلهما ما جاء التنويه بشأنهما في قوله تعالى :﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:١٥٨]. والشعائر: أعلام الدِّين الظاهرة، وهي معالم

(١) ينظر: « مجموع الفتاوى » لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٤٢/٢٦).

(٢) ينظر: « مكة المكرمة تاريخ ومعالم » (ص١١٠-١١١).

للطاعات والقُرَب(١)، وقد أمر الله تعالى عباده بتعظيم شعائر دينه، لما في ذلك من الصلاح، والفوز والفلاح، فقال سبحانه: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢]. فوجب على المسلمين تعظيم هذه الشَعائر المباركة، ومنها: الصفا والمروة، بالسَّعي بينهما في نُسُكِ الحج والعمرة؛ لأنَّ ذلك مِمَّا أوجبه الله تعالى على المسلمين؛ فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: « سَنَّ رسولُ الله ﷺ الطَّوَافَ بَيْنَهُمَا(٢)، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتْرُكَ الطَّوَافَ بَيْنَهُمَا »(٣).

ومن فضائلها: ما جاء عن ابنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما- قال: قال رسولُ الله ﷺ: « وَأَمَّا طَوَافُكَ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ؛ فَكَعِتْقِ سَبْعِينَ رَقَبَةً »(٤).

والعِتقُ فيه إحياءٌ للإنسان، فليس شيء يعدل الحياة في الدنيا كلِّها غير

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (١/٥٣٨).

(٢) أي: بين الصفا والمروة.

(٣) أخرجه البخاري في « صحيحه » (٢/٥٩٢)، برقم [١٥٦١]؛ ومسلم في « صحيحه » برقم = [١٢٧٧].

(٤) أخرجه البزار في « مسنده » (١٢/٣١٧)، برقم [٦١٧٧]؛ والطبراني في « الأحاديث الطوال » (١/٣٢٠)، برقم [٦١]؛ والمنذري في « الترغيب والترهيب » (٢/١١٠)، برقم [١٧٠٩]. وابن حجر في « المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية » (٦/٢٦٣)، برقم [١١٣١]. وقال الألباني في « صحيح الترغيب والترهيب » (٢/٩)، برقم [١١١٢]: « حسن لغيره ».

العتق، والدليل على ذلك: ما جاء عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: « لاَيَجْزِي وَلَدٌ وَالِدَهُ إِلاَّ أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ »(١). فقد جعل النبيُّ ﷺ عِتْقَ الرجلِ أباه مكافِئًا له على أنْ وهَبَهُ الحياةَ.

وعلى هذا، فلقد كان سعي أمِّ إسماعيل - عليهما السلام- بين الصفا والمروة بحثًا عمَّا يحفظ حياتها وحياةَ وليدها الرَّضيع إسْماعيل، فوهبها الله تعالى الحياةَ بأنْ أرسلَ جبريلَ - عليه السلام- عند نهاية شوطها السابع فانبثقت زمزمُ تفيض بالحياة، فكان جزاء سعيها إحياء رضيعها وإحياؤها.

ثم جَعَلَ هذا الجزاء لِمَن امتثل أمرَه وسَعَى بين الصفا والمروة مُعظِّمًا شعائره-سبحانه- وزاد في الجزاء، فإذا كان سَعْيُ هاجر -عليه السلام قد أعتقها وأعتق وليدَها من الموت، فإنَّ سَعْيَ المؤمنِ المُوَحِّد يعدل عِتْقَ سبعين رقبة لِعَظَمَةِ هذا النُّسك.

ومما تطيب الإشارة إليه، ونحن بِصَدد الحديث عن الصفا والمروة والمسعى، ذِكرُ المأثرة السنية، والمنقبة العلِيَّة، لخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز-حفظه الله ورعاه- وهي: أمره بإعادة بناء وتوسعة المسعى وزيادة طابق علويٍّ ثالث له، وفق أحدث طراز معماري بديع، مما

---

(١) أخرجه مسلم (١١٤٨/٢)، برقم [١٥١٠].

مَكَّن الحجاج والمعتمرين من أداء شعيرة السَّعي في يُسْر واطمئنان وخشوع، دون ازدحامٍ أو تدافعٍ يَرُوع . فجزاه الله عن نُبْل المسعى في توسعة المسعى، وسواها، خير الجزاء وأوفاه، آمين .

المطلب السادس عشر: فضل مضاعفة أجر الصلاة في المسجد الحرام:

لَكَمْ يطيب للمسلم تَرْدَادُ فضل مكة، وشرفها، ورفعتها، وسموها وبديع منزلتها، بل إن الروح ليعتنقها النشاط، ويؤرجها الاغتباط بالحديث عن بلد الله الحرام، لا سيما إذا كان عن أعظم فضائلها، وأَجَلِّ خصائصها، وأيمن مناجحها، التي يَصْبُو إلى منالها كل مسلم، ويروم تحقيق أيسر يسيرها كل مؤمن، نأَت أو دنَت به الديار، أو شط عنه المزار ألا وهي مضاعفة أجر الصلاة، والظفر بعظيم الحسنات.

فمن واسع كرم الباري – تبارك وتعالى – وبسيط جوده على قاصدي بلده المبارك، وبيته العتيق أن جعل الصلاة في المسجد الحرام مضاعفة على غيره من المساجد، فعن جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: ((صلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه))[1].

---

(١) أخرجه أحمد في « مسنده » برقم [١٥٣٠٦]، وابن ماجة في « سننه » برقم [١٤٠٦]، وصححه الألباني في « صحيح سنن أبي داود » برقم [١١٦٣].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال: ((صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام))[١].

فهذان الحديثان- وغيرهما- الصَّحيحان، يُوَضِّحان الفضل العظيم، والخير العميم للصلاة الواحدة في المسجد الحرام، وكونها تفضل بمائة ألف صلاة عَمَّا سواها من المساجد، إلا في مسجد الرسول ﷺ، فإن أجرها بألف صلاة. فالحمد لله على أجره الجزيل، وفضله المديد الكريم. ويا بُشْرَى ويا سُعْدَى، لمن صَلَّى في هذين المسجدين المباركين، وكم وكم من الحسنات والمثوبات المضاعفات لمن سكن المدينتين المقدستين!!! وتلقاء ذلك أيضا، يا خسارة من جاور الحرمين الشريفين، ففرَّط في حقوق تلك المآثر العظام، والأماكن الكرام، فأضاع الفرائض والواجبات، وأهمل الطاعات والقربات، وجفا المكارم والفضائل السنيات، وتغافل عن كينونته في أطهر البلاد وأقدس البقاع، ولا حول ولا قوة إلا بالله!!

قال أبو بكر النقاش- رحمه الله-: ((حسبت الصلاة بالمسجد الحرام فبلغت صلاة واحدة بالمسجد الحرم، عمر خَمْسٍ وخمسين سنة وستة أشهر، وعشرين ليلة. وصلاة يوم وليلة في المسجد الحرام، وهي: خمس

---

(١) أخرجه البخاري في « صحيحه » برقم [١١٣٣]، ومسلم في « صحيحه » برقم [١٣٩٤].

صلوات: عمر مائتي سنة، وسبعين سنة، وسبعة أشهر وعشر ليال))[١]. الله أكبر!! ياله من كرم رباني عظيم، ومنٍّ إلهي كريم، لا يحرمه إلا من أَوْبق نفسه، وبَدَّد بالمعاصي يومه وأمسه!! ولم يغتنم فرص البلد الحرام، وجلال المسجد الحرام، وحسن الجوار، وفضله المدرار!! وغَدَا عن ذلك النهر الجاري بالحسنات في انصِرَاف، وعن تلك الرِّياض المبْرُورَة في ازْوِرَارٍ وانْعِطَاف!!

وهنا مسألة:

هل مضاعفة الأجر مخصوصة بالفريضة أم بالنافلة؟

تعدَّدت أقوال أهل العلم في هذه المسألة، والصحيح من أقوالهم -رحمهم الله- أن: صلاة الفريضة والنافلة تُضاعف في المسجد الحرام وعليه إطلاق الأحاديث الصَّحيحة، كما أن صلاة النافلة في البيت ، خير من أدائها في المسجد، حتَّى ولو كان المسجد أحد الثلاثة المباركة، ودليل ذلك، حديث زيد بن ثابت – رضي الله عنه - أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((صلاة المرء في بيته أفضل من صلاته في مسجدي هذا، إلا المكتوبة))[٢].

---

(١) ينظر: « مثير العزم الساكن » (١/٣٥٩)، « شفاء الغرام » (١/١٣١)، و« فتح الباري » (٣/٨٢).

(٢) أخرجه أبو داود في « سننه » برقم [١٠٤٤]، والطبراني في « المعجم الصغير » برقم [٥٤٤]،

علَّق الإمام الشوكاني –رحمه الله- فقال: فعلى هذا، لو صلَّى نافلة في مسجد المدينة كانت بألف صلاة على القول بِدُخول النوافل في عموم الحديث، وإذا صلاها في بيته كانت أفضل من ألف صلاة، وهكذا حكم المسجد الحرام وبيت المقدس(١).

والله واسع عليم، ذو فضل عظيم –سبحانه- .

مسألة أخرى: هل المضاعفة تَخُصُّ مسجد الكعبة، أم تَشْمَلُ الحرم كله؟

اختلف أهل العلم في المراد بالمسجد الحرام الذي يضاعف فيه أجر الصلاة، هل هو المسجد المحيط بالكعبة تحديدا، أم يشمل مكة عموما؟

والجواب: رجح جمع كثير من العلماء، شمول المضاعفة للحرم عموما، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة:٢٨] والمراد بالمسجد الحرام، هو: الحرم كله، وليس المسجد فقط. وسأل الربيع بن صبيح الإمام الرباني والتابعي الجليل عطاء بن أبي رباح المكي –رحمه الله- قائلا: يا أبا محمد هذا

والألباني في « صحيح الجامع » برقم [٣٨١٤].

(١) ينظر: « نيل الأوطار » (٧٧/٣).

الفضل الذي يذكر في المسجد الحرام، وحده أو في الحرم كله؟ فقال عطاء: (بل في الحرم كله، فإن الحرم كله مسجد)(١).

قال ابن حزم –رحمه الله- : بلا خلاف(٢). وقال الشربيني: بإجماع المفسرين(٣).

ومن الأدلة على ذلك، فعل النبي ﷺ، في صلح الحديبية، حيث كان يصلي في الحرم -بأن ينتقل داخل حده- وهو في الحل؛ لأن الحديبية، بعض منها في الحرم. قال الإمام ابن القيم – رحمه الله- : ((وفي هذا كالدلالة على أن مضاعفة الصلاة بمكة تتعلق بجميع الحرم، لا يخص بها المسجد الذي هو مكان الطواف))(٤). وقد رجَّح مذهب الجمهور هذا، العلَّامة ابن باز –رحمه الله (٥).

يحسن القول، بأن الصلاة في المسجد الحرام، مع الجموع الغفيرة من المسلمين، ورؤية الكعبة الشريفة، وشهود صلاة الجنازة، والتنافس في الطاعة، واستباق الخير مع قاصدي البيت وآمِّيه، تُزكِّي الروح، وتشرح

---

(١) ينظر: « مسند الطيالسي » برقم [١٤٦٤].
(٢) ينظر: « المحلى » (١٤٨/٧).
(٣) ينظر: « مغني المحتاج » (٦٧/٦).
(٤) ينظر: « زاد المعاد » (٣٠٣/٣).
(٥) ينظر: مجموع فتاوى الشيخ ابن باز (١٣٠/٤).

الصدر، وتبهج الفؤاد، وذلك ما يَرُومه كل مسلم، وما يَبْتَغِيه كل مؤمن من الصلاة وآثارها، والعِبَادَة وأنوَارِها، والله الموفق(١).

المطلب السابع عشر: فضل عَرَفات:

أولاً: تعريفها:

عَرَفة أرض مُسْتوية، وفضاء واسع، تَحُفها الجبال من الشرق والجنوب والشمال الشرقي، وفي غربِها يَمُرُّ وادي عُرَنة. وتبلغ مساحتها (١٧،٩٥كم٢)، كما تبعد عن المسجد الحرام (١٨كم).

وعَرَفة من المشاعر المكانية المعظَّمة في الشريعة؛ لأن الوقوف بِها يوم التَّاسع من شهر ذي الحجَّة، رُكن عظيم من أركان الحجِّ لا يتم إلاَّ به، ومَن فاته الوقوف بعرفة، فقد فاته الحجُّ. لقوله ﷺ: « الحج عَرَفة »(٢).

ولِحِكمة قدَّرها الله –سبحانه- كان صعيد عرفات الطاهر خارج حدود الحرم، لا يفصله عن تلك الحدود إلاَّ وادي عُرَنة. وفي تلمُّس هذه الحكمة الرَّبَّانية، قال الخليل بن أحمد –رحمه الله-: (سمعتُ سفيان الثوري

---

(١) لمزيد التوسع في أقوال أهل العلم، وتوجيهها وتأويلها، حول المراد بالمسجد الحرام. ينظر: « أحكام الحرم المكي » للحويطان (ص ١٠٥).

(٢) أخرجه أحمد في « مسنده » برقم[١٨٧٩٦]، والترمذي في « سُننه » برقم[٨٨٩]، وابن ماجه في « سننه » برقم[٣٠١٥]، والألباني في « صحيح سنن ابن ماجه » برقم[٢٤٥٩].

-رحمه الله- يقول: قدِمْتُ مكَّة فإذا أنا بِجعفر بن محمد قد أَنَاخ بالأبطح فقلت: يا ابنَ رسول الله! لِمَ جُعِلَ الموقف من وراء الحرم، ولم يُصَيَّر في المشعر الحرام؟ فقال: الكعبة بيت الله، والحرم حجابه، والموقف بابه، فلمَّا قصدوه أوقفهم بالباب يتضرَّعون، فلمَّا أَذِن لهم بالدُّخول، أدناهم من الباب الثاني، وهو المزدلفة، فلمَّا نظر إلى كثرة تضرُّعهم، وطول اجتهادهم رَحِمهم، فلمَّا رحِمهم أمرهم بتقريب قُرْبانِهم، فلمَّا قرَّبوا قربانهم، وقضوا تَفَثَهم، وتطهَّروا من الذُّنوب، أمرهم بالزِّيارَة لبيته. قال له: فَلِم كُرِه الصَّوم أيَّام التَّشريق؟ قال: لأنهم في ضيافة الله، ولا يجب على الضيف أن يصوم عند مَن أضافه.

تلك نبذة يسيرة، رَاق لي إدْراجُها، بَيَّنت وجه الحكمة من جَعْل عرفاتٍ خارج حدود الحرم الشريف، وهو تأويل مقبول لم يَجْنَح عن سنن الاعتدال والزَّكاء.

حيث أتى في وصفٍ روحاني نديٍّ، مفعم بالنفحات الإيمانية، مترع بأسرارِ الحج وشعائره السَّنِيَّة.

ثانياً: فضائل عرفة:

أخي القارئ الحبيب:ومن فضائل البلد الحرام: مشعر عرفات، تلك البقعة المباركة، التي اختصَّها الملِك العلاَّم، باجتماع وفودِه فيها يومًا في

العام، فكم لها من فضائل جمَّة: رفيعة الدَّرجات، عظيمة الحسنات، وفيرة الرَّحمات، كثيرة الخيرات، ومن ذلك التنويه بشأنها في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ ذلك مورد التصريح، وأمَّا التلميح، ففي قوله ﷻ: ﴿مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ وأمَّا الحديث الذي اكْتَنَزَ لُطْفُ الرحمن، وجُودَ الكريم المنَّان، ونَضَعَ بِأعرَاف الجنان، وبيَّن شرَف وعظمة ذلك المكان والزَّمان فما رواه أبو هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « إنَّ الله تعالى يُباهي بأهل عرفات أهل السَّماء، فيقول لهم: انظروا إلى عبادي جاؤوني شعثاً غُبْرًا »[1] الله أكبر!! البارئ الدَّيان، الرَّحيم الرَّحمن، يُباهي بأهل عَرفات أهل السَّماء –أي:الملائكة- !! يا له من فضل عظيم عظيم، وكرم من جوادٍ رحيم!! لِمَن برَّح بهم الاستغفار والدّعاء، والنِّداء والرَّجاء.

وتكادُ مِن فَرْطِ الضَّراعة ترْتَقِي بِقلوبها والأرواح والأجسامُ
تَذْرو الدُّموع على الخُدُودِ سَخِيَّةً وتَبُثُّ نَجْواهـا بِها الأنْسَامُ

وعن أمِّ المؤمنين عائشة –رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال: « ما

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في « صحيحه » (٤/٢٦٣) برقم[٢٨٣٩]، وابن حبان في « صحيحه » (٩/١٦٣) برقم[٣٨٥٢]، والألباني في « صحيح الترغيب والترهيب » برقم[١١٥٢].

من يومٍ أكثر من أن يُعْتِقَ الله فيه عبدًا من النَّار، من يوم عرفة، وإنه لَيدنو ثم يُباهي بِهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء؟ »[١]. وفي هذا الحديث فضيلة كثرة من يخرج من النَّار يوم عرفة، وهو دليل على رفعة قدْر ذلك اليوم، وذلك المكان، الذي يَهَب فيه الرَّحمان- سبحانه- جزيل العطاء والإحسان.

وعن عبدالله بن عمر –رضي الله عنهما- أنَّ رسول الله ﷺ قال: « فإذا وقف بعرفة –أي: الحجيج- فإنَّ الله ﷻ يَنْزِل إلى السَّماء الدُّنيا فيقول: انظروا إلى عبادي شعْثًا غُبْرًا، اشهدوا أنِّي قد غفرت لهم ذنوبهم، وإن كانت عدد قطْرِ السَّماء، ورَمْلٍ عالِجٍ[٢] »[٣].

إذًا، ومن فضائل عرفات: العِتق من النِّيران، ومغفرة الذنوب والآثام، وإن كانت عَدَّ الرِّمال، وتلك رحمة الكبير المتعال، فالحمد لله على جزيل إحسانه، وعفوه وامتنانه، وطوبى لمن وقف بذلك الصَّعيد، وتأرّج بالنَّفحات، ونَهَل من فَيْض المحبوب، مغفرة الذُّنوب.

---

(١) أخرجه مسلم في « صحيحه » (٢/٩٨٢) برقم[١٣٤٨].

(٢) رمل عالج: عالج: موضع مشهور بكثرة رماله، يقع في الدَّهناء، والدَّهناء: ما بين اليمامة والبصرة. وقيل: الرمل العالج: المتراكم والمتداخل بعضه في بعض. ينظر: « معجم ما استعجم » (٣/٩١٣).

(٣) أخرجه ابن حبَّان في « صحيحه » برقم[١٨٨٧]، والهيثمي في « موارده » برقم[٩٦٣]، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب والترهيب » برقم[١١٥٥].

المطلب الثامن عشر: فضل مِنى:

أولاً: تعريفها:

مِنًى إحدى المشاعر التي أمرنا الله- سبحانه- بتعظيمها وتوقيرها تبعد عن الحرم (٤كم)، وتقع في الجهة الشرقيَّة منه كما تبلغ مساحتها (٦،٣٥كم٢). يَنْزِلُها الحجَّاج الكرام يوم الثَّامِن ويوم النَّحر، وهو اليوم العاشر من ذي الحجَّة، ويُقيمون فيها إلى يوم الثاني أو الثالث عشر.

وفي مِنى: مسجد الخيف، والجمرات الثلاث، وسيأتي فَضْلُ كلٍّ - إن شاء الله-.

وقد وردت الإشارة إلى أيام منى المباركة في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ ﴾. قال الإمام القرطبي -رحمه الله-: « ولا خلاف بين العلماء: أنَّ الأيَّام المعدودات في هذه الآية هي: أيَّام مِنًى، وهي أيَّام التشريق »(١).

ثانياً: فضائلها:

تُقْضَى في منى أيَّام كريمة مباركة فيها ذِكر الله وطاعته -سبحانه-

---

(١) ينظر: « الجامع لأحكام القرآن » (٣/٢).

وإتْمام مناسك الحجِّ، وصفها الرسول ﷺ بقوله: « أيَّام منى أيَّام أكلٍ وشرب وذِكْرٍ لله تعالى »(١). وفي تلك الأيام، وعلى ثرى تلك البُقعة الطَّاهرة، تؤدَّى بعض الشعائر الجليلة، ذات الأجور الجزيلة، ومنها:

أ- فضل رمي الجمرات:

الجمرات: جمع جَمْرة: وهي الحصى الصغيرة، وتطلق على مجتمع الحصى التي يُرمى بها. ويُطلق أيضًا على الشَّاخص المَخْذوف بالجمرات وهي ثلاثة: الصُّغرى والوسطى والكبرى: وتسمَّى: العقبة.

ولِرمي تلك الجمرات فضائل جَمَّة عِدَّة، اقتضتها الحكمة الإلهية والأوامر الربانية. في حين أنَّ ظاهر رمْيها ليس له شأن، أو أثر على النَّفس بادي الرأي، ولكن كلا! فحسبنا قول الحق – تبارك وتعالى- ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾ تلك المنافع وما اكتنزت من المقاصد الجلية والمصالح الخفية، الدُّنيوية والأخروية، الروحية، والبدنية، ومن ذلك ما نحن بِسَبِيل الحديث عنه، فعن ابن عمر –رضي الله عنهما- قال: قال ﷺ: « وإذا رمى الجمار؛ لا يدري أحدٌ ما له حتّى يُوَفَّاهُ يوم القيامة »(٢) أي: لا

---

(١) أخرجه مسلم في « صحيحه » برقم[١١٤١].

(٢) أخرجه ابن حبان في « صحيحه » برقم[١٨٨٧]، والمنذري في « الترغيب والتَّرهيب »

يدري مقدار الأجر وعظمته من ذلك الامتثال، وذلك الاتِّباع. وما ذلك إلا من فضل كريم جاد به المولى تبارك وتعالى على عباده الحجيج.

يَا حبَّذا الأضحى وفيه جِمَارُه
تُرْمى وتُحشدُ حولها الأقوامُ
لم تَخْلُ مِن عِظةٍ ولا مِن عِبْرَةٍ
إلا لِمَن هم كالغُثاءِ طغامُ
يَصْلَى بها الشيطان نارًا كُلَّمَا
أغْرَى وأغْوَى، واعتراهُ عُرّامُ

وفي رواية: « وأمَّا رميُك الجِمار؛ فَلَك بكلِّ حصاةٍ رميْتَها تكفير كبيرة من المُوبِقات »(١) وفي هذا الحديث تحديدٌ للمثوبة، وتخصيص لها، مما يبعث على التنافس والاستباق، ويؤكد بوضوح وجلاء، فضل رمي الجمرات وما فيها من الأجور والمثوبات، وذهب بعض أهل العلم -رحمهم الله- إلى كون التَّحديد لا يعني حَصْرَ الجزاء وقَيْدَه، بل هو تحديد بعض نوعه فقط

برقم[١٨٠٣].

(١) أخرجه البزار في « مسنده » برقم [٦١٧٧]، والمنذري في « الترغيب والترهيب » برقم [١٧٠٩]ـ والألباني في « صحيح الترغيب والترهيب » برقم [١١١٢] وقال: حسن لغيره.

لِمَا ورد في الحديث الآنف من سَعة فضل الله ورحمته، يؤيّدُ ذلك ويُعَضِّدُه حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- أنَّ رسول الله ﷺ قال: « إذا رَمَيْتَ الجِمار كان لك نورًا يوم القيامة »(١)، وهذا دليل على فضل الله المدرار ونِعَمِه الغِزار، متَى أخلص المؤمن العبادة، وعظَّم الشعائر، وأتَى بها وَفْق هدْي الوَحْيَيْنِ الشريفين.

ب- فضل نَحْر الهَدي:

ومن الفضائل التي ضَمَّتها مِنَى، وكان فيها الثواب الجزيل، ومغفرة الذنوب من العزيز الجليل: نَحْر الهَدْي، والأضحية؛ تقرُّباً إلى الله -سبحانه- في يوم أغرٍّ مُحَجَّلٍ أكبر: يوم النَّحر، أكبر العيدَين وأفضلهما، لِما فيه من عظيم الشعائر وتعدد الطاعات، قال سبحانه: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾، وفي هذا النُّسُك اجتمع شرف الزَّمان وشرف المكان، طلباً لِمرضاة الله وفضله، وذلك باستشعار عظمة الفدَاء والتضحِية، امتثالاً لأمر الله، وتسليما لحكمه، وانقيادًا لمشيئته، وصبرًا واحتسابا على ابتلائه وقدره - سبحانه-.

---

(١) أخرجه المنذري في « التَّرغيب والتَّرهيب » برقم[١٨٠٨]، والألباني في « صحيح التَّرغيب والترهيب » برقم[١١٥٧]، وفي « السلسلة الصَّحيحة » برقم[٢٥١٥].

كما امتثل نبيُّ الله إبراهيم -عليه السلام- لِذبْح وَلدِه وفلذَة كَبِده إسماعيل- عليه السلام-.

ولله ما أعظم هذه الشعيرة وثمرتها، وقد جلاَّها المولى في قوله ﷻ: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ التقوى هي الركن الأقوى، والنتيجة التي لا تبلى من كل العبادات والقربات، القولية والعملية الظاهرة أو الخفية، وهل ثَمَرَة الحجِّ ومقصده العظيم، بل ورَحيق سَائر العبادات إلاَّ التَّقوى!؟

ج- فضل حَلْقِ الشَّعر:

وتمتدُّ الفضائل في منى، فَنرى جزيل الثواب من الملك الوهاب، في حَلْق الشَّعر يوم النَّحْر، فعن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنَّ رسول الله ﷺ قال: وأمَّا نَحْرُك فَمَذْخور لك عند ربِّك، وأمَّا حلاقُك رأسَك فلك بكلِّ شعْرَةٍ حَلقتها حسنة، وتُمحى بها عنك خطيئة"[1]. ومِمَّا يستدلُّ به على كرم المنَّان، وفضائله السَّنِيَّة، في منًى العَلِيَّة، ما رواه عبادة بن الصَّامت ؓ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « وأمَّا حلقُك رأسَك، فإنَّه ليس من شعرك شعرةٌ تقع

---

(١) أخرجه البزَّار في « مسنده » برقم[٦١٧٧]، وذكره والمنذري في « الترغيب والترهيب » برقم[١٧٠٩]، والألباني في « صحيح الترغيب والترهيب » برقم[١١١٢] وقال: حسن لغيره.

على الأرض، إلاَّ كانت لك نورًا يوم القيامة »[1]. فهنيئًا للحاجّ هذا العطاء، وهذا الفضل الرَّبَّاني العظيم!! اللهم فاجعل لنا نورًا نهتدي به في الدُّنيا والآخرة، آمين.

وللهِ في تلك المشـاعِر نَفْحـة فَيضُ على الأنفاس من روحها سُحْبَا
فَبُورِكْتِ يا أرض القدَاسات والهُدَى ولا زلـت ميـدانًا لآمالِنا رَحْبَا

د- فضل مسجد الخيف:

ومن الشعائر المكانية، ذات الفضائل السَّنِيَّة، في البلد الحرام، وتحديداً في مشعر منى: مسجد الخيف[2]: النَّهْر الدَّافق بِالحجاج، يوم التروية البَهَّاج، وأيام التشريق ذات البِرِّ الثَّجَّاج، الخيف: أحد منارات منى المنيرة، وشاماتها المضيئة، صلى فيه الأنبياء عليهم السلام، وصلى فيه المصطفى ﷺ والصحب الكرام - رضوان الله عليهم- وبذلك اكتسب الفضيلة والمزية، فعن عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: ((صلى في مسجد الخيف سبعون نَبِيًّا، منهم موسى عليه السلام

---

(١) ذكره المنذري في « الترغيب والترهيب » برقم[١٧١٠] والألباني في « صحيح الترغيب والترهيب » برقم[١١١٣] وقال: حسن لغيره.

(٢) مسجد الخيف: المسجد المشهور في منى. والخيف: ما ارتفع عن مجرى السيل، وانحدر عن غلظ الجبل. وإليه نسب المسجد.

كأني أنظر إليه وعليه عباءتان قطوانيتان، وهو محرم على بعير من إبل شنوءة، مخطوم بخطام ليف، له ضفيرتان))(١).

عجبًا! أهذا الخَيْفُ أَقبل من منىً ... أم أَنَّه الدنيا وهذا المحشرُ؟

تَتَنَافس الأبرارُ فيه على الهدى ... ويُفيضُ فيه محلِّق ومقصِّرُ

المطلب التاسع عشر: فضل مزدلفة:

أولاً: التعريف: ومن الأماكن المعظمة في البلد الحرام، ومن ذوات الفضائل العظام: المزدلفة، وسُمِّيت مُزْدَلِفَةً مِن الاقتِراب والازدِلاف لأنَّ الحجَّاج إذا أفاضوا من عرفات بعد غروب الشمس، انطلقوا إليها واقتربوا منها، فحطُّوا رِحالهم فيها.

وقيل لأنَّها مقرَّبة من الله- تبارك وتعالى-. وتُسمَّى: جَمْعاً؛ لاجتماع النَّاس فيها، أو لجِمع صلاتَي المغرب والعشاء فيها، قال ﷺ: « وقفتُ هاهنا، وجَمْعٌ كلها موقف »(٢)، ويُطلق عليها أيضًا: المَشْعَر الحرام: من الشِّعار، وهو العلامة؛ لأنه معلم واضحٌ في الحَجِّ.

---

(١) « أخبار مكة » للفاكهي (٤/٢٦٦)، وأخرجه الطبراني في « الأوسط » (٥/٣١٢) برقم [٥٤٠٧]، والمنذري في « الترغيب والترهيب » برقم [١٧٣٦] وحسن إسناده، وكذا الألباني في « تحذير الساجد » ص (١٠٦) وحسن إسناده.

(٢) أخرجه مسلم في « صحيحه » برقم [١٢١٨].

وقد ذكره المولى -عزَّ وجَلَّ- في قوله -سبحانه- ﴿ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾، وَوُصِف بالحرام لِحُرْمته، ولِوقوعه داخل حدود الحرم.

ذلك ما يتعلَّق بالاسم، وننتقل في إثره إلى موقعها.

ثانيًا: موقع مزدلفة:

أما الموقع، فإنَّ مزدلفة تقع بين عرفات ومِنًى، لا يفصلها عنها إلاَّ وادي مُحَسِّر.

وتبعد عن عرفات (٦كم)، وعن المسجد الحرام (٨كم)، وتُقدَّر مساحتُها بنحو (٩،٣٦كم٢)[١].

والمبيت في تلك البقعة المباركة، حتَّى طلوع الفجر، ليلة العاشر من ذي الحجَّة، واجب من واجبات الحج، قال جلَّ اسمه: ﴿ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾.

---

(١) ينظر: و« الحرم المكي الشريف والأعلام المحيطة به » ابن دهيش (٢٠١)، و« معالم مكة التاريخية » (ص ٢٦٦).

ثالثاً: فضائل مزدلفة:

لمزدلفة فضائل جمَّة، عظيمة القدر مهمة، ففي ليلة غرَّاء حاشدة، وعلى أرض مزدلفة، يلهج الحجَّاج الميامين بالذِّكر والدُّعاء، والتَّضرُّع لِفاطر الأرض والسَّماء لأن مزدلفة بُوتقة الزَّاد الرُّوحي، والإشراق النَّفسي، والكرم الإلهي، الذي يُنْعِم به الباري -تبارك وتعالى- على عباده وذلك بالتَّجاوز عن سيِّئاتهم وإقالة عثراتهم، وإجابة دَعواتهم، فعن بلال بن رَباح ﷺ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال له غدَاة جَمْع: « يا بلال! أَسْكِتِ النَّاس، أو أَنْصِتِ النَّاس » ثم قال: « إنَّ الله تطوَّل[١] عليكم في جمعكم هذا فوهب مُسِيئكم لِمحسِنكم[٢]، وأعطى مُحسنكم ما سأل، ادفعوا باسم الله »[٣].

ففي هذا الحديث فضائل عظيمة تكرَّم بها المولى -سبحانه- على أهل جَمْعٍ الخاشعين الرَّاجين المُنيبين، فأرضى السَّائلين، وتجاوز عن المحسنين -سبحانه-، وذلك هو أمَلُهم ومُناهم، وأمَل كُلِّ مُسْلِم في هذه الدُّنيا.

في تلك السَّاعات الحالكات، المشرقات بنور الطاعات والابتهالات

---

(١) تَطوَّل: تفضَّل وتكرَّم، من الطَّوْل، وهو: الفضل.

(٢) وهب مسيئكم لِمُحسنكم: أجاب دعاء المحسنين وشفاعتهم في المسيئين، أي: وَهَبَ المسيئين للمحسنين، فكانوا سبباً لمغفرة ذنوبهم، بفضل الله -سبحانه-.

(٣) أخرجه ابن ماجه في « سننه » برقم[٣٠٢٤] وذكره الألباني في « صحيح ابن ماجه » برقم[٢٤٦٨].

ينادي البَائِت بمزدلفة، بلسان الوَجِل المضطر:

يا مَن يُجيب دُعَا المضطرّ في الظُّلم ... يا كاشف الضُّرِّ والبلوى مع السَّقَمِ
قد نام وفدُك حول البيت وانتبهوا ... وعَيـْن جودكِ يا قيُّوم لم تَنَمِ
أنت الغفور فَجُدْ لي بمغفرة ... واعطِف بفضلك يا ذا الجود والكرمِ

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: وقفَ النبيُّ ﷺ بِعرفات، وقد كادتِ الشمس أن تؤوب، فقال: يا بلال! أنْصِت لي النَّاس« فقام بلال ﷺ فقال: أنْصِتوا لرسول الله ﷺ، فأنصَت الناس، فقال: معاشر الناس! أتاني جبرائيل عليه السَّلام آنِفًا فأقرأني من ربِّي السَّلام، فقال: إنَّ الله ﷻ غفر لأهل عرفات، وأهلِ المَشْعَرِ، وضَمِن عنهم التَّبِعات » فقام عمر بن الخطاب ﷺ فقال: يا رسول الله! هذا لنا خاصَّة؟ قال: هذا لكم، ولمن أتى من بعدِكم إلى يوم القيامة" فقال عمر ﷺ:« كَثُرَ خير الله وطاب »(١). نعم كثر خير الله وفضله وطاب، وملأ من المسلمين الوِطاب، بعد أنْ غُفرت ذنوب المُزدَلِفين إلى الله الكريم الوهاب.

المطلب العشرون: فضل كَون البلد الحرام أمان من العذاب العام:

---

(١) أورده المنذري في « الترغيب والترهيب » برقم[١٧٩٦]، والسّيوطي في « الدّر المنثور » (٥٥٣/١)، والألباني في « صحيح الترغيب والترهيب » برقم[١١٥١].

ومن المنن الكبرى المتلوَّة، والخصائص الربَّانية المجلوَّة في البلد الحرام، والتي بلغت من القداسة منتهاها، ومن الاستثنائية ذراها، وغدا بها وبسواها البلد المبارك، مكرما مشرفا، مصانا معرفا، فضيلة الأمان من العذاب العام، وفضيلة سبوغ الاطمئنان، بحيث لا يصاب من كان فيه بِعذاب يُرْديه، ولو كان من غير أُمَّة المصطفى ﷺ.

ومثال ذلك : نجاة أبي رغال من سائر قوم نبي الله صالح – عليه السلام-، لما أخذت قومه الصيحة. وقد أخبرنا بذلك الرسول ﷺ، فعن جابر – رضي الله عنه- قال: لما مرَّ رسول الله ﷺ بالحِجْر قال: ((لا تسألوا الآيات وقد سألها قوم صالح فكانت تَرِد من هذا الفج، وتَصدُرُ من هذا الفج فعتوا عن أمر ربهم فعقروها، فكانت تشرب ماءهم يوما، ويشربون لبنها يوما، فعقروها، فأخذتهم صيحة أهمد[1] الله من تحت أديم السماء منهم، إلا رجلا واحدا كان في حرم الله))، قيل: من هو يا رسول الله؟ قال: ((هو أبو رغال[2]، فلما خرج من الحرم، أصابه ما أصاب قومه))[3].

(١) أهمد: أهلك وأمات. ينظر: « تاج العروس » مادة (همد).

(٢) أبو رغال: - بكسر الراء، وفتح العين المعجمة- رجل من ثمود. ينظر: « تاج العروس » مادة (رغل).

(٣) أخرجه أحمد في « مسنده » برقم [١٤١٩٣]، والحاكم في « مستدركه » برقم [٣٢٤٨]، وحسنه ابن حجر في « الفتح » (٦/ ٣٨٠)، وينظر: « فضائل مكة الواردة في السنة » للغبان

ووجه الشاهد من الحديث نجاة أبي رغال بسبب وجوده في الحرم فلمَّا فارقه، نزل به ما نزل بقومه من العذاب، وهذا الإنجاء من بركات المسجد الحرام، وخصائصه التي امتاز بها، فضلا من الله ومنا.

المطلب الواحد والعشرون : فضل حماية الله للبلد الحرام من الجيش الغازي:

ومن عظيم فضائل البلد الحرام، وخصوصيته عند الملك العلام – سبحانه- حمايته من جيش يريد غزوه في آخر الزمان، فيخسف به الجبار – جل وعلا- في البيداء نحو ذي الحليفة، بعد خروجه من المدينة المنورة.

فعن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال: ((يغزو جيش الكعبة، فإذا كان ببيداء[1] من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم)) قلت: يا رسول الله! كيف يخسف بأولهم وآخرهم، وفيهم أسواقهم[2]، ومن ليس منهم؟ قال ﷺ: ((يخسف بأولهم وآخرهم، ثم

(٣٨٢/١).

(١) بيداء: المكان المعروف بين مكة والمدينة وهو إلى المدينة أقرب. ينظر: « معجم البلدان » (٥٢٣/١)، و« غريب الحديث » مادة (بيَد).

(٣) أسواقهم: أهل أسواقهم الذين يبيعون ويشترون، وليسوا من أهل القتال. ينظر: « غريب الحديث والأثر » مادة (سوق).

يبعثون على نياتهم))[١].

وفي رواية آخرى: عن أم سلمة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: ((يعوذ عائذ[٢] بالبيت، فيبعث إليه بعث، فإذا كانوا ببيداء من الأرض [زاد في رواية: إنها لبيداء المدينة] خسف بهم)) فقلت: يا رسول الله، فكيف بمن كان كارها؟ قال: ((يخسف به معهم، ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته))[٣].

وهذا الخسف يكون عند اقتراب الساعة، وفيه دليل شرف البيت العتيق، وغَيْرة المولى -عزَّ وجل- على الحرم المكرم، وبلده المُشَرَّف.

ومما يستفاد من هذه الواقعة: أن من كثَّر سواد قوم في المعصية، مختارًا غير مكره، فالعقوبة تصيبه معهم، وأن الأعمال معتبرة بِنِيَّة العامل ومُراده.

وفيها -أيضا- التَّحذير من مُخالطة أهل البَغْي والانْحراف، إلا لمن أُكره أو اضطُرَّ.

---

(١) أخرجه البخاري في « صحيحه » برقم [٢٠١٢].

(٢) العائذ: المُلتجئ، وطالب الحماية والنصرة. ينظر: « اللسان » و« غريب الحديث » مادة (عوذ).

(٣) أخرجه مسلم في « صحيحه » برقم [٥٠٤].

المبحث الثاني:

تحريم البلد الحرام

توطئة:

نَدْلُفُ في هذا المبحث، إلى الحديث عن تحريم البلد الحرام ومعناه ومحرِّمه، وأوانه، وما مُيِّزَ به عن سائر الأقطار، من الخصائص والأحكام التي بوَّأته- إضافة إلى بديع فضائله- المكان المتفرد العلي، ورفعته عبر التاريخ القديم والحديث، وإلى قيام الساعة إلى قُنَّة الأمن والسلام اللّذين ينشدهما ويتلهَّف إليهما العالم منذ أقدم العصور، وخصوصا في عصرنا الراهن: عصر التَّسَافُكِ والاحتِراب، والتطاحن والاضطراب، والذاتية الوحشية، والإبادة العرقية، والتوسُّعات الجغرافية، وما نتج عن ذلك من سحق القيم الإنسانية، والمثُل الروحية، والتشبث الأرعن بالمادية الجشعة المـُسْتَذْئِبَة.

وقد سقت هذه التوطئة، لما قد يَنقدح في ذهنك – أخي الكريم – من كون ظاهر هذا « الفصل » التباين مع العنوان، الذي يستقصي فضائل البلد الحرام، ولا فضائل إلا وتعقُبها الأجور والمثوبات، أو تكفير السيئات، والتَّجاوز عن اللَّمَم والهفوات، فأي سِلْكٍ ينتظم التحريم ومعانيه، وآثاره ودلالاته؟؟ يجاب عن ذلك بالقول: إن التحريم تخصيص وتفضيل واجتباء، حوى من الآداب العالية أصنافا، ومن اللآلئ المحقِّقة

للأمن أصدافا، الأمن الذي يحفظ الأبدان والأرواح، زمانا ومكانا وإحراما، فيحقق للساكنين والنَّاسكين والزائرين الحياة المطمئنة الهادئة والعبادة الخاشعة الهانئة.

ثم أليس في امتثال التحريم وضوابطه وآدابه أعظم التربية للنفس المسلمة ؟ أليس في تحريم ما حرَّم الله في بلده الأمين، والانتهاء عمَّا نهى عنه أعظم المثوبة، وفي ضده أقسى العقوبة؟!

أليس في تعظيم التحريم لفظًا ومعنىً، جوهرا ومبنَى، إلهابٌ لمشاعر الحب والتوقير، والإجلال للمقدسات، سواء أكان في العبادات أو المعاملات، وما يعكس ذلك في الفؤاد من الرغبة والرهبة؟! أو في العادات، وما يحمل ذلك على تقصّي جليلها ورائقها، وجميلها وفائقها؟! سيَّما وقد خَفَتَ في هذا الأوان كثير من وَهَجِها، ونقص عبيرها وأرجها؟؟ إننا على وفاق إذًا – أيها القارئ الحبيب – أن التحريم من الفضائل الركن الأساس، والزَّكيّ من الغِرَاس، فهلمَّ- بوركت- إلى فسيح سُوحِه وجِوَائِه، ونِدِيِّ ظلاله وأفيائه.

المطلب الأول: تعريف التحريم:

أولاً: التحريم لغة: جَعْل الشيء محرَّمًا: أي: ممنوعًا. ومنه: حَرُم –بالضَّم- الشيء، حُرْمًا وحَرَامًا، أي: امْتَنَع فعله، ولم يُسْتطَع.

ومنه الحرام: الممنوع.

والحُرْمَة: ما لا يَحِلُّ انتِهاكه. والحُرْمة -أيضًا- المَهابة، وهي اسم بمعنى الاحترام، والجمع: حُرُمات[١]. إذًا، فالتحريم يطلق ويراد به: المنع والمهابة، وكلاهما مراد، في تحريم البلاد.

ثانيًا: التحريم اصطلاحًا:

أما التحريم في الاصطلاح فهو: جَعْل الشيء مُحَرَّمًا، ممنوعًا[٢].

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىۡءٍ ﴾، وفي معنى قوله تعالى: ﴿ حَرَّمَهَا ﴾ أقوال:

أ- عَظَّم هَيْبتها في نفوس المسلمين.

ب- جعلها آمِنة، ومنع أن يُسْفك فيها دم، أو يظلم فيها أحَد، أو يُصاد صَيْدُها، أو يُختلى خلاها، ولا يدخلها إلاَّ مُحْرِم" وخصَّها بما لم يَخُصَّ به بلدة سِوَاها.

ج- حرَّم فيها أشياء على الحاج والمعتمر.

وكل هذه المعاني والدلالات منطبقة على المراد من المعنى

(١) ينظر: « المفردات في غريب القرآن » للأصفهاني، و« تاج العروس » للزَّبيدي، مادة (حَرَم).

(٢) ينظر: « التعريفات الفقهية » للبركتي (ص٢٢١)، و« تفسير الخازن » (١٩١/٥).

الاصطلاحي في التحريم، وليست خارجة عنه ولو في أجزائها.

المطلب الثاني: متى حُرِّم البلد الحرام؟

اختار الله -عزَّ وجلَّ- مكَّةَ عن سائر البلاد، وجعل فيها بيته المعظَّم فكانت قبلة المسلمين، وخَصَّها بالأمن الوارِف والأرزاق العِداد، وأهوى إليها أفئدة العِباد، كما خصَّها بأمرٍ عظيم، وحُكم مَنيع، وحِصْنٍ مَعْنويٍّ بديع، ألا وهو التَّحريم الذي ترتَّبت عليه آداب وأحكام، ذاتُ مَعَانٍ ساميات عظام.

وهذا التَّحريم -الذي نُجْرِي الحديث حوله- هو مِن المولى -جلَّ جلاله- ، قال تعالى: عن نبيِّنا محمَّد ﷺ: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا ﴾، وهذا صريح في كون التَّحريم من الخالق -سبحانه-.

وأمَّا زمَنُه، فبيانه في قوله ﷺ: « إنَّ هذا البلد حرَّمه الله يوم خلق السَّماوات والأرض فهو حَرام بِحُرْمَةِ الله إلى يوم القيامة »(١).

وهنا مسألة ظاهرها الإشكال، وهو قوله ﷺ: « إنَّ إبراهيم حرَّم مكة ودعا لها، وحرَّمت المدينة كما حرَّم إبراهيم مكَّة »(٢)، وفي الحديث الآنِف

---

(١) أخرجه البخاري في « صحيحه » برقم[٣٠١٧].

(٢) أخرجه البخاري في « صحيحه » برقم[٢٠٢٢].

قال ﷺ: « إنَّ هذا البلد حرَّمه الله يوم خلق السَّماوات والأرض » (١)، أجاب الإمام النووي -رحمه الله- عمَّا ظاهره التعارض بقوله: « إنَّ تحريمها كان ثابتاً من يوم خلق الله السماوات والأرض، ثمَّ خَفِيَ تحريمها، واستمرَّ خفاؤه إلى زمن إبراهيم، فأظهره وأشاعه، لا أنَّه ابتدأه » (٢). إذًا، فإبراهيم -عليه السَّلام- ليس هو المحرِّم، وإنَّما هو المبلِّغ عن الله تعالى التَّحريمَ. ومقتضى هذا التَّحريم في المطالب الآتية:

المطلب الثالث: تحريم القتال وسفك الدِّماء في البلد الحرام:

إنَّ من أجَلِّ مقتضيات التَّحريم للبلد الحرام، تحريم القتال وسفك الدِّماء فيه، وتَنْزيه هذه البقعة المباركة، أن تُنْتَهَك فيها الحُرَمُ، أو تُزْهق فيها الأنفس، وذلك هو الأمن السَّابغ المنشود الذي يغرس الطُّمأنينة والسَّكينة في النُّفوس، وهو قضاء الله ومراد في بلده المكرم، قال الحق -تبارك وتعالى-: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ [البقرة:١٢٥]، وجلَّى ذلك المصطفى ﷺ فقال: « إنَّ مكَّة حرَّمها الله، ولم يحرِّمها النَّاس، فلا يَحِلُّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دمًا » (٣)، وما ذلك إلا لعظيم حُرْمتِها

(١) سبق تخريجه.
(٢) ينظر: « شرح النووي على صحيح مسلم » (٩/١٣٤).
(٣) أخرجه البخاري في « صحيحه » برقم[١٠٤].

ومكانتِها عند الله –جل جلاله-.

قال القرطبي –رحمه الله-: « إنَّ مكة لم تزل حَرَمًا آمناً من الجبابرة المسَلَّطين، ومن الزَّلازل وسائر المثلات التي تَحِلُّ بالبلاد، وجعل في النُّفوس المتمرِّدة، من تعظيمها والهيبة لها، ما صار به أهلها متميِّزين بالأمن من غيرهم من أهل القرى »[١]. وتأكيدًا على تعظيم حرمة مكة المكَّرمة، أن يُخاف

ساكنها، أو داخلها، نهى ﷺ عن حمل السلاح فيها. فعن جابر - رضي الله عنه - قال: ((نهى رسول الله ﷺ أن يحمل السلاح بمكة))[٢]؛ خشية الترويع أو التخويف للقاطنين والقاصدين. وقد ثبَّت الرسول ﷺ هذا الأمان ووطده ورسَّخه وأكَّده حينما أرسل مناديا يقول: ((من دخل المسجد الحرام فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن))[٢].

ومما يسلك في ثَلْم حرمة الحرم، وخدش سابغ آمنه، ووارِف الطمأنينة فيه، إيذاء قاصديه أو ساكنيه، سواء بالأفعال العنيفة، أو الأقوال الجارحة. فالتعامل الشفيق، والأخلاق الحسنة، يجب أن تسود جنَبات

(١) ينظر: « الجامع لأحكام القرآن » (١٧٧/٢).
(٢) أخرجه مسلم في « صحيحه » برقم [١٣٥٦].
(٣) أخرجه مسلم في « صحيحه » برقم [١٧٨٠]

البيت الحرام، والبلد الحرام؛ لأنه للطُّمأنينة والسكينة مآبة، وللإخاء والصفاء مثابة، وبذلك يعم التواد والتراحم بين المسلمين، وقل: ما أروعه في بلد الله الأمين.

المطلب الرابع: النهي عن حمل السلاح فيه إلا لحاجة:

متى حُمِل السلاح فإنه دليل غياب الأمن، وانعدام الاستقرار والاطمئنان، وبما أن النفس جُبِلت على الخوف من أدوات القتال ووسائله، وبما أن مكة المكرمة – ذات الفضائل والخصائص- البقعة الوحيدة على وجه الأرض في التحريم، والفريدة في الخصوصية على العالمين، فقد نهى الرسول ﷺ أن يحمل السلاح فيها. فعن جابر ﷺقال: سمعت النبي ﷺ يقول: ((**لا يَحِلُّ لأحدكم أن يحمل بمكة السلاح**))[1].

قال القاضي عياض- رحمه الله- : ((هذا محمول عند أهل العلم على حمل السلاح لغير ضرورة ولا حاجة، فإن كانت، جاز))[2] لما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه ((**أن النبي ﷺ دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه المِغْفَر**[3]))[4]،

(١) تقدم تخريجه (ص١٠٩) .

(٢) ينظر: « شرح النووي على مسلم » (١٣٠/٩)

(٣) المِغْفَر: حلق يتقنَّع بها الفارس، وهي: الخَوْذَة. ينظر: « النهاية في غريب الحديث » مادة (غفر).

(٤) أخرجه البخاري في « صحيحه » برقم [٤٠٣٥].

وتلك هي الساعة التي أحلها الله – سبحانه – لنبيِّه ﷺ، ثم عادت مكة لحرمتها؛ فحمْل السِّلاح فيها لا يتوافق وأمنها وأمانها وتعظيم حرمتها.

المطلب الخامس: تحريم الإلحاد في البلد الحرام:

أولاً: تعريف الإلحاد:

أ- الإلحاد في اللغة:

الإلحاد: الميل عن القصد والعدول عنه. ولحد في الدِّين، يلحد، والْتحدَ: حاد عنه، وأدخل فيه ما ليس منه(١).

ب- الإلحاد في الاصطلاح:

أما الإلحاد في الاصطلاح، فمعناه: الظلم في الحرم جلَّ أو قلَّ. أو: الإخلال بما يستحقه الحرم من التعظيم(٢).

وقد ذهب أهل العلم- رحمهم الله- إلى أن الإلحاد في الحرم على أربعة معان:

الأول: قال ابن مسعود – رضي الله عنه-: الإلحاد هو: الشرك. وقال أيضا: هو استحلال الحرام فيه.

---

(١) ينظر « معجم مفردات القرآن » للأصفهاني، و« لسان العرب » مادة (لحد).

(٢) ينظر: تفسير الطبري « جامع البيان عن تأويل آي القرآن » (١٧/ ١٤١).

الثاني:قال مجاهد- رحمه الله- : هو العمل السيِّء فيه.

الثالث: قال سعيد بن جبير- رحمه الله- : هو الاحتكار في الحرم.

الرابع: قال ابن عباس- رضي الله عنهما- : استحلال الحرام متعمِّدا[1].

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- : الإلحاد في الحرم: « ظلم الخادم فما فوقه »[2]. وكل هذه الأقوال مفردة أو مجموعة لا تخرج عن معنى الظلم والإلحاد؛ لأن الله -عزَّ وجلَّ- لم يخصِّص ظلمًا دون ظلم.

ثانيا: تحريم الإلحاد في البلد الحرام:

وللمكانة الطاهرة والرفيعة للبلد الحرام، ولحفظه عن مسالك الآثام، أو اجتراح النقائص فيه والإظلام، أحاطه القوي العزيز بحصن مُشْمَخِرٍّ مكين من الوعيد، والتهديد، فَتوعَّد الجبار- تبارك وتعالى - بالعذاب الأليم، من قصده بالإلحاد ، ومن أمَّه بالسوء والمكر، أو ظلم العباد والدَّليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

---

(١) ينظر: « أحكام القرآن » لابن عربي (٣/١٢٦٤)، و« تفسير الماوردي » (٤/٦٣).

(٢) ينظر: « أخبار مكة » للأزرقي (٢/١٣٧).

[الحج:٢٥].

لأنه اقتحم حرمة الجبار، وتطاول على بلده الآمن الحرام، الذي أصفاه عن سائر الديار. ومن لازم البلد الحرام: حفظ الضيوف الكرام، والسكان الوادعين المطمئنين، وكل من ضمَّه البلد الحرام، يوضِّح ذلك ويؤكِّده، قول الإمام الجصاص- رحمه الله- : ((ولم يختلف المتأولون للآية، أن الوعيد في الإلحاد مراد به من ألحد في الحرم كله، وأنه غير مخصوص به المسجد))(١).

وهذا الإلحاد يشمل جميع المعاصي كبيرها وصغيرها عياذاً بالله، قال الإمام القرطبي- رحمه الله- : ((وهذا الإلحاد والظلم يجمع جميع المعاصي من الكفر إلى الصغائر))(٢). وقال العلامة ابن باز –رحمه الله-: ((وكلمة (إلحاد) تعم كل ميل إلى باطل، سواء كان في العقيدة أو غيرها؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ فنكَّر الجميع، فإذا ألحد أحدٌ أي إلحاد فإنه متوعد بهذا الوعيد))(٣). ومسلوك فاعله في عداد المبغَضين عند الله – سبحانه – فعن ابن عباس – رضي الله عنهما- قال: قال النبي ﷺ:

---

(١) ينظر: « أحكام القرآن » للجصاص (٥/٩٣).
(٢) ينظر: تفسير القرطبي « الجامع لأحكام القرآن » (١٢/٣٦).
(٣) ينظر: « مجموع فتاوى ابن باز » (٣/٣٩٠).

((أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطَّلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه))(١).

ولمجرد الهم فإن العقوبة تلحق صاحبها وإن كان في مكان ناءٍ قَصِيٍّ فعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال في قول الحق سبحانه: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ : ((لو أن رجلا همَّ فيه بإلحاد، وهو بعَدَن أبْين(٢) لأذاقه الله عزَّ وجل عذابا أليما))(٣).

ومن النصوص التي جاءت صريحة في كون الإلحاد في الحرم من الكبائر، ما رواه أيوب عن طيسلة بن علي النهدي قال: سألت ابن عمر -رضي الله عنهما- وهو في أصل الأراك يوم عرفة، وهو ينضح على رأسه الماء ووجهه - فقلت له: يرحمك الله، حدثني عن الكبائر! فقال: قال رسول الله ﷺ: ((**الكبائر الإشراك بالله..... وإلحاد بالبيت: قبلتكم أحياء وأمواتا**))(٤). ذلك جزاء الفعل، أما الهم فَنَقَل ابن كثير -رحمه الله- عن بعض أهل العلم ((من هم أن يعمل سيئة في مكة، أذاقه الله العذاب

---

(١) أخرجه البخاري في « صحيحه » برقم [٦٤٨٨].

(٢) عَدَن أبْين: موضع في اليمن.

(٣) أخرجه أحمد في« مسنده » برقم [٤٠٧١] وإسناده حسن.

(٤) أخرجه البيهقي في « السنن الكبرى » برقم [٦٥١٥]، وحسنه الألباني في « الإرواء » (١٥٥/٣).

الأليم، بسبب همه بذلك وإن لم يفعلها، بخلاف غير الحرم المكي من البقاع، فلا يعاقب فيه بالهم))[(١)].

فيما سبق من الآية الكريمة، والأحاديث الشريفة، وأقوال أهل العلم براهين قاطعة على عظمة البدل الأمين، وكون السيئات والمنكرات فيه أمرها جلل وجلل. ألا فلْيتنبه، وليحذر من أنعم الله عليهم بِسُكْنَى البلد الطاهر، ومن أُكْرِم بالوفادة عليه، فلنحذر جميعا تلك الآفات والمغبَّات سائلين المولى- جل اسمه- أن يُوفِّق الجميع لحسن الجوار، وامتثال الأدب مع بلد الله الحرام؛ خضوعاً لأمر الله - تعالى- واقتداء بحال الصحب الأخيار – رضوان الله عليهم – في تعظيم البلد الحرام، حيث رسخ الإيمان في قلوبهم فأَوْرَقَ التوقير لمكة المكرمة والإجلال، ونفى التفريط والإخلال، روى الأزرقي بسنده عن مجاهد – رحمهما الله – في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ قال: ((كان لعبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- فسطاطان أحدهما في الحِلِّ والآخر في الحرم، فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل، وإذا أراد أن يصلي صلى في الحرم. فقيل له في ذلك، فقال: إنا كنا نتحدَّث أن من الإلحاد أن يقول: كلا والله! وبلى والله !))، وعن مجاهد قال: « إذا دخلت الحرم

(١) « تفسير القرآن العظيم » لابن كثير (٣/٢١٥).

فلا تدفعنَّ أحداً، ولا تؤذين، ولا تزاحم »[١] كل ذلك تعظيماً لمكة المُشَرَّفة -لا زَالَتْ بِأَرِيج التَّوقير مُعَرَّفة- إذًا هنيئاً لمن دَرَج بالتعظيم لهذه البلدة المباركة ونَبَتْ، وبُورِكَ من استمر على توقيرها وثَبَتْ!!

المطلب السادس: تحريم دخول غير المسلمين للبلد الحرام

مكة المكرمة، وبيت الله الحرام، أرض الإسلام والإيمان والتوحيد ومنبع الزَّكاءِ والطُّهر، والعباد الأخيار الزُّهر، ولأجل هذه الفضائل المجلوَّة، والمحامد المشرقة المتلوة - أن تُشَاب وتُكَدَّر - حرَّم الحق - عز وجل - دخول المشركين والكافرين، للبلد الحرام، فقال - تبارك وتعالى -: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾ [التوبة:٢٨]، قال ابن كثير - رحمه الله - :« أمر - تعالى- عباده المؤمنين الطَّاهرين دينًا وذاتًا بنفي المشركين، الذين هم نجسٌ دينًا، عن المسجد الحرام، وأن لا يقربوه بعد نزول هذه الآية »[٢] نهى - سبحانه - عن مجرَّد القرب تشديدا وتأكيدا والمراد بالمسجد الحرام: الحرم عموما، وليس الكعبة ومبناها الذي حولها

---

(١) ينظر: « أخبار مكة » للفاكهي (٢/٢٥٩).
(٢) ينظر: « تفسير القرآن العظيم » لابن كثير (٢/٣٤٦).

فحسب[١].

ولهذا الأمر الرباني العظيم، بعث رسول الله ﷺ عليا، صحبة أبا بكر -رضي الله عنهما- عام تسع، وأمره أن ينادي في المشركين: ((ألاَّ يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان))[٢].

قال الإمام القرطبي -رحمه الله-: (يحرم تمكين المشرك من دخول الحرم أجمع، فإذا جاءنا رسول منهم، خرج الإمام إلى الحل ليسمع ما يقول، ولو دخل مشرك الحرم مستورا ومات، نبش قبره وأخرجت عظامه)[٣].

وجمهور العلماء على أن المشرك ليس بنجس البدن والذات؛ لأن الله تعالى أحلَّ طعام أهل الكتاب، فتكون نجاسة المشركين في الآية الكريمة من جهة المعنى أي: نجاسة الاعتقاد، وهي أعظم من نجاسة الأجساد.

قال العلامة ابن سعدي -رحمه الله- في تفسيره للآية الكريمة: ((إن الله تعالى يحث المؤمنين، ويناديهم بصفة الإيمان، قائلا سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ بالله، الذين عبدوا معه

---

(١) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٩/١١٦).
(٢) أخرجه البخاري في « صحيحه » برقم [١٥٤٣].
(٣) ينظر: « الجامع لأحكام القرآن » للقرطبي (٨/١٠٤).

غيره (نَجَسٌ) أي: خبثاء في عقائدهم وأعمالهم، وأيُّ نجاسة أبلغ ممن كان يعبد مع الله آلهة لا تنفع ولا تضر، ولا تغني عنه شيئا؟! وأعمالهم ما بين محاربة لله وصد عن سبيل الله، ونصر للباطل، ورد للحق، وعمل بالفساد في الأرض، لا في الصلاح، فعليكم أن تطهروا أشرف البيوت وأطهرها عنهم))(١).

تلك إحدى الخصائص الكريمة، للبلدة الطَّاهرة، تُبَيِّن جليل قدرها الحسِّي والمعنوي بين سائر المساجد والبِقَاع.

المطلب السابع: تحريم قطع الشجر والشوك والخلى:

أولا: تحريم قطع الشجر:

ومن الخصائص التي أمتاز بها البلد الحرام، وازداد بها شرفا عن سائر البقاع والأقاليم والأصقاع، وبوَّأته من الأمن المنقطع النظير، المنزلة السامية، ومن التوقير أسنى المشاعر الهامية، تحريم قطع شجره، مما ينبته الله-تبارك وتعالى.

أجمع على ذلك أهل العلم؛ لقوله ﷺ: ((حَرَّم الله مكة، فلم تحل لأحد قبلي، ولا لأحد بعدي، أُحِلَّت لي ساعة من نهار، لا يختلى خلاها، ولا

---

(١) تفسير السعدي (١/ ٣٣٣).

يعضد[1] شجرها))، وجاء عن أبي شريح -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: ((إن مكة حرمها الله، ولم يُحَرِّمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دما، ولا يعضد بها شجرة)).

والدلالة في هذين الحديثين جلية في النهي عن قطع شجر الحرم، بل تحريم ذلك،

ولكن اختلف أهل العلم في حكم قطع الشجر الذي أنبته الآدمي؟

ذهب الجمهور إلى جواز قطعه، حكى الإجماع على ذلك ابن المنذر – رحمه الله – فقال: ((أجمعوا على إباحة أخذ كل ما يُنْبته الناس في الحرم من البقول، والزروع، والرياحين وغيرها))[2].

وقال ابن بطال – رحمه الله - : ((أجمع العلماء على إباحة أخذ كل ما ينبته الناس في الحرم من البقول والزرع والرياحين ، وغيرها، فوجب أن يكون ما يغرسه الناس من النخيل والشجر مباح قطعه؛ لأن ذلك بمنزلة الزرع الذي يزرعونه، فقطعه جائز))[3].

---

(١) يُعْضَدُ: يقطع، تقول: عضدت الشجرة، إذا قطعتها. والمِعْضَد: حديدة تتخذ للقطع، كالمِنْجَل. ينظر: " غريب الحديث مادة (عضد).

(٢)« الإجماع » (ص ٥٧).

(٣)« شرح صحيح البخاري » لابن بطال (٤/٤٩٨).

ثانيا: تحريم قطع الشوك:

ذهب أهل العلم إلى حرمة قطع الشوك في الحرم، وهو قول الجمهور لما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ قال يوم الفتح: ((إن هذا البلد حرمه الله، لا يُعْضَدُ شوكه))[١]، وفي رواية عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ((ولا يختلى شوكها))[٢]. والألفاظ الواردة في الحديثين وغيرهما صريحة في النهي عن قطع شوك الحرم. قال ابن قدامة - رحمه الله -: ((فلما حرم النبي ﷺ قطع شجرها - والشوك غالبه - كان ظاهرا في تحريمه))[٣]. وبنحوه قال ابن حجر - رحمه الله -[٤].

ثالثا: تحريم قطع الخلى[٥]:

ذهب جمهور أهل العلم[٦] إلى تحريم قطع خلى الحرم؛ لما ورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: - عن مكة المكرمة - ((....

---

(١) أخرجه البخاري في « صحيحه » برقم [١٥١٠].

(٢) أخرجه البخاري في « صحيحه » برقم [٢٣٠٢]

(٣) ينظر: « المغني » (٣/١٦٩).

(٤) ينظر: « فتح الباري » (٤/٤٤).

(٥) الخلى: الرطب من الكلأ والعشب. ينظر: « النهاية في غريب الحديث » مادة (خلى).

(٦) ينظر: « الإجماع » لابن المنذ (ص ٥٧)، و « إعلام الساجد بأحكام المساجد » (ص ١٥٧).

أُحِلَّت لي ساعة من نهار، لا يُخْتَلَى خَلاَهَا...))[١].

يُشَار إلى أنَّ ما سبق من تحريم قطع الشجر والخلى والشوك، يشمل المُحْرِم والحلال، لا فرق بينهما. وفي هذا التحريم، امتداد للأمن الوارف الذي استغرق شجر الأرض ونباتها، وهو تَنْوِيهٌ ضِمْنِيٌّ بشأن مكة وفضلها.

رابعا: جزاء قطع الشجر والشوك والخلى:

ننتقل الآن إلى أقوال أهل العلم في جزاء من انتهك تحريم القطع حيث رجَّح العلماء، أن من قطع شجر الحرم وشوكه وخلاه، فإنَّه لا شيء عليه من الجزاء،وإنما هو مُذْنِبٌ يلحقه الإثم؛ لاعتدائه على حرمة ما حرَّم الله ورسوله ﷺ. وجزاؤه الاستغفار والتوبة؛ وذلك لِعَدَم ورود دليل من الكتاب والسنة، يقطع بالجزاء ويُبَيِّنه. ودونك أيها القارئ الكريم أقوال أهل العلم في ذلك:

١- قال الإمام مالك – رحمه الله - : ((ليس على المُحْرِم فيما قطع من الشجر في الحرم شيء، ولم يبلغنا أن أحداً حكم عليه فيه بشيء، وبئس ما

(١) أخرجه البخاري في « صحيحه » برقم [١٢٨٤].

صنع))[1].

٢- وقال ابن المنذر – رحمه الله -: ((لا أجد دليلاً أوجب به في شجر الحرم فرضاً من كتاب، ولا سنة، ولا إجماع، وأقول كما قال مالك: نستغفر الله تعالى))[2]. وأيد ابن حزم – رحمه الله – هذا القول وعلّله، قائلاً: ((وقال مالك وأبو سليمان: لا شيء في ذلك، وهو الحق؛ لأنه لو كان في ذلك شيء لبينه رسول الله ﷺ، ولا يجوز شرع هديٍ، ولا إيجاب صيام، ولا إلزام غرامة إطعام، ولا صدقة، إلا بقرآن أو سنة))[3].

وأما ما انكسر من الأغصان، وانقطع من الشجر، وما يبس من الحشيش، بغير فعل الآدمي، فإنه يجوز رعيه والانتفاع به . قال ابن قدامة – رحمه الله – ((لا بأس بالانتفاع من الأغصان، وانقطع من الشجر وسقط من الورق. نَصَّ عليه أحمد، ولا نعلم فيه خلافاً))[4].

ذكر ذلك الكاساني- أيضا – مع التعليل، فقال: ((ولا بأس بقلع

---

(١) ينظر: « الموَطَّأ » (١/ ٤٢٠).
(٢) ينظر: « المغني » (٣/ ١٧٠).
(٣) ينظر: « المحلى » (٧/ ٢٦١)، وينظر: « أحكام الحرم المكي الشرعية » (ص ١٦٩- ١٧٦).
(٤) ينظر: « المغني » (٣/ ٢٦٥)، و« فتح البارئ » (٤/ ٤٤-٤٨).

الشجر اليابس والانتفاع، وكذا الحشيش اليابس؛ لأنه قد مات، وخرج عن حد النمو))[١].

مسألة:

ذهب أهل العلم ومنهم مالك[٢]، والشافعي[٣]، وأحمد[٤] في رواية وأبو يوسف[٥]- رحمهم الله-، إلى جواز رَعْيِ الدَّواب في الحرم، وهو استثناء مِن النهي السَّابق.

ودليلهم ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ((أقبلت راكبا على حمار أتان، وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام، ورسول الله ﷺ يصلي بالناس بمنى إلى غير جدار، فمررت بين يدي بعض الصَّفِّ، فنزلت وأرسلت الأتان ترتع، ودخلت في الصف، فلم يُنْكِر ذلك عليَّ أحد))[٦].

---

(١) ينظر: « بدائع الصنائع » (٢/٢١٠).
(٢) ينظر: « المدونة » (١/٤٥١).
(٣) ينظر: « المهذب » (١/٤٠٠).
(٤) ينظر: " المغني: (٣/٣٥١).
(٥) ينظر: « المبسوط » (٤/١٠٤).
(٦) أخرجه البخاري في « صحيحه » برقم [٤٧١].

ووجه الدلالة في هذا الحديث:

١- عدم إنكار النبي ﷺ وأصحابه الكرام، إرسال الأتان.

٢- حاجة الناس إلى الرعي، ومنعهم منه، فيه مشقَّة وكُلْفَة.

قال ابن عابدين: - رحمه الله -: ((وأمرهم برعيها خارج الحرم فيه غاية المشقة))[١]، وهذا من رحمة الله بعباده، وتيسيره عليهم، في مُتَنَزَّل الرَّحماتِ، ومَوْطِنِ البَرَكات.

وإذ قد طال القول في هذا المطلب، فَلاِشتماله على مسائل ثلاثٍ اقتضَى مقامُها النُّبُوَ عن الاقتضاب، والله –سبحانه- الموفِّق.

المطلب الثامن: استثناء الإذخر من القطع:

لما شمل تحريم القطع ما يتعلق ببعض حاجة المسلم للشجر والشوك والخلى، فقد رخَّص الرسول ﷺ - وذلك موافق لخلقه الكريم في الرحمة والتيسير – للصحب الكرام في قطع الإذخر[٢] وتناوله؛ لحاجتهم إليه، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: ((إن هذا البلد حرَّمه

---

(١) ينظر: « منة الخالق على البحر الرائق » (٣/٧٨).

(٢) الإذخر: نبت طيب الرائحة، يعرفه أهل مكة، ينبت في السهل والحزن، تسقف به البيوت، وتطيب الموتى. ينظر: « النهاية في غريب الحديث والأثر » مادة (ذخر).

الله يوم خلق السموات والأرض، ولا يختلى خلاه)) فقال العباس رضي الله عنه: يا رسول الله! إلا الإذخر؛ فإنه لقينهم ولبيوتهم. قال ﷺ: ((إلا الإذخر))[١].

إذاً، نلاحظ أيها القارئ الكريم، أن تحريم قطع الشجر والخلى والشوك متوائم، وما جُمِّلَ به البلد الحرام من الأمن والتوقير الذي امتد من كرامة البشر، إلى كينونة الشجر. وإنها لدلائل دقيقة على عظمة البلدة المباركة، وتشريفها، ورِفْعَتِها وتَخْصِيصِها.

المطلب التاسع: تحريم أخذ لقطة البلد الحرام:

أولاً: تعريف اللقطة في اللغة والاصطلاح:

أ: اللقطة في اللغة:

اللقطة: - بضم اللام وفتح القاف – اسم المال الملقوط، من: لقط الشيء من الأرض، إذا أخذه. وقيل: ما عُثِر عليه مُلْقًى من غير قصد ولا طلب[٢]. ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾ [القصص:٨] .

ب: اللقطة في الاصطلاح:

أما اللقطة في الاصطلاح فهي: المال المُحْتَرَم الضائع من صاحبه

---

(١) أخرجه البخاري في « صحيحه » برقم [٣٠١٧].

(٢) ينظر: « معجم مقاييس اللغة » و « غريب الحديث والأثر » مادة (لقط).

يلتقطه غيره[١].

ثانيا: تحريم أخذ لُقَطة الحرم:

وهذا الحكم من خصائص البلد الحرام، الممتاز بمحكم التَّشْرِيعَات وأجل الأحكام، ومن ذلك: لقطته، التي لم يُبِح الشارع التقاطها إلا بشرط التعريف، وبشرط عدم الملك، خلافا لسائر بقاع الأرض- بجواز الملك بعد التعريف - وهو القول الأرجح عند أهل العلم[٢] – رحمهم الله – ودليلهم ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنَّ النبي ﷺ قال: ((لا يلتقط لقطتها، إلا من عرفها))[٣] ومعنى عرفها: ذكر أوصافها؛ بحثًا عن صاحبها[٤].

وفي رواية أخرى: ((ولا تحل لقطتها إلا لمنشد))[٥]، والمنشد: المـُعَرِّف، والناشد: الطالب. ففي هذين الحديثين، دلالة واضحة ناهية مانعة، عن أخذ لقطة الحرم إلا لمن يريد تعريفها.

---

(١) ينظر: « فتح القدير » (١٨/٦)، و « المغني » (٦٣٠/٥).
(٢) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٢٦/٩)، و« المغني » (٧٠٦/٥).
(٣) أخرجه البخاري في « صحيحه » برقم [٢٣٠١].
(٤) ينظر: « غريب الحديث والأثر » مادة (عرف).
(٥) أخرجه البخاري في « صحيحه » برقم [٤٠٥٩].

قال الإمام النووي – رحمه الله - : ((والمعنى: لا تحل لقطتها إلا لمن يريد أن يعرِّفها فقط، فأما من أراد أن يعرفها ثم يمتلكها، فلا))[١]؛ لأنها للتعريف لا للتمليك.

كذلك من يأخذ لقطة الحرم، ثم يتصدق بها عن صاحبها فإنه مخالف للسنة، ولما سبق ذكره من حكمها. إذاً (على من وجد لقطة في الحرم أن لا يتبرع بها لمسجد، ولا يعطيها الفقراء ولا غيرهم، بل يعرفها، وإن تركها في مكانها فلا بأس، وإن سلَّمها للجهة الرسمية التي وكلت لها الدولة حفظ اللقطة برئت ذمته)[٢].

هذا، وقد هَيَّأت الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين مواقع خاصة لتسلُّم اللقطة، وتسليمها أصحابها، وتسمى هذه النقاط: بـ (ركن المفقودات) وقد يسرت على كثير من الملتقطين حرج الالتقاط ومسؤوليته كما فرَّجت كُرب كثير من الحجاج والمعتمرين والزائرين الذين يفقدون أمتعة نفيسة وأوراقًا ثبوتية مهمة جدا، فلا يهدأ روعهم ولا تنجلي شِدَّتهم إلا بوجود لقطتهم في (ركن المفقودات). ومن المحاسن التطويرية القيمة التي تنسلك في هذا المضمار، إنشاؤها لصناديق الأمانات التي تحفظ أمتعة

---

(١) ينظر: شرح النووي لصحيح مسلم (١٢٩/٩).
(٢) ينظر: مجموع فتاوى ابن باز (٤٩٩/٦).

القاصدين، فجزى الله الرئاسة كل خير، على جهودها المُمَيَّزة المباركة.

ولعلك تسأل – أخي الكريم- عن الحكمة في تحريم لُقَطة الحرم؟ فتجاب – وفقك الله- بالآتي: الحكمة من تحريم لُقَطة مكة المكرمة: كي لا ينصرف ملتقطها عن العبادة أو الطاعة أو نسكه؛ ولأنها لو أبيحت كسائر البقاع، لاستشرفت النفس إليها، وتعلقت بها لامتلاكها، وفي ذلك ما فيه من شغل الفكر، والتقصير فيما من أَجْلِهِ جاء المعتمر أو الحاج، وفي التحريم سَدٌّ لتلك الذرائع وقطع لأسبابها، والله أعلم!

المطلب العاشر: تحريم صيد البلد الحرام:

ومن الأحكام التي اختص بها البلد الأمين، ودَلَّتْ على مقامه الرفيع المكين، وفضله المستبين: تحريم الصيد فيه، وأصل ذلك، قول الحق تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞ﴾ [المائدة:٩٥].

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: ((إن هذا البلد حرمه الله لا يعضد شوكه، ولا ينفَّر صيده...))[(١)] وفي رواية: ((فلا ينفر صيدها))[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في « صحيحه » برقم [١٣٥٣].

(٢)أخرجه البخاري في « صحيحه » برقم [٢٣٠٢].

ففي الحديثين نهي صريح عن تنفير الصيد من موضع. قال الإمام النووي – رحمه الله- : ((يحرم التنفير، وهو: الإزعاج عن موضعه، فإنْ نفَّره عصى، سواء تلف أو لا، فإن تلف في نفاره ضمن وإلا فلا))[١]. وهو تفسير التابعي الجليل عكرمة – رحمه الله- حيث قال: ((هل تدري ما (لا يُنَفَّر صيدها)؟ هو أن ينحيه من الظل وينزل مكانه))[٢].

لذلك؛ أجمع أهل العلم على تحريم صيد الحرم على الحلال والحرام[٣].

قال الإمام النووي –رحمه الله- : ((وأما صيد الحرم: فحرام بالإجماع على الحلال والمحرم، فإن قتله فعليه الجزاء عند العلماء كافة))[٤].

ولا جزاء إلا على المتعمد القاصد، قال تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾ [المائدة:٩٥] .

قال العلامة ابن باز – رحمه الله- : ((صريح القرآن يدل على أن الفدية

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٩/ ٢٦).

* ويقصد بالصيد: ما جمع ثلاثة شروط: ١- أن يكون مباح الأكل. ٢- أن يكون وحشياً. ٣- أن يكون بريا وليس مائيا.

(٢) أخرجه البخاري في « صحيحه » برقم [١٧٣٦].

(٣) ينظر: « الإجماع » لابن المنذر (ص ٦٨).

(٤) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٩/ ١٢٥).

لا تلزم إلا المتعمد، وهذا هو الأظهر؛ لأن المحرم قد يبتلى بذلك من غير قصد، ولا سيما بعد وجود السيارات، وقد قال – سبحانه- ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥][1].

وقوله - رحمه الله- هو الصحيح؛ لموافقته للشريعة الغرَّاء التي جاءت باليسر والوسط، ونَبْذِ الحَرَج والشَّطط.

المطلب الحادي عشر: قتل الفواسق في الحرم:

إنَّ الأمن الأبدي الذي قدَّره الباري – عزَّ وجل- في بيته الحرام وجعل أهله ينعمون بسابغ مطارفه، وجليل تليده وطارفه، اقتضى حفظ زائريه وساكنيه، من آفات الفواسق الهوام، والمؤذيات ذات السَّوام، سواء إبَّان الحلال أو الإحرام.

فعن ابن عمر- رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: «خمس لا جناح على من قتلهن في الحرم والإحرام: الفارة، والعقرب، والغراب والحدأة[2]، والكلب العقور[3]».

---

(١) "مجموع فتاوى مقالات الشيخ ابن باز (١٧/ ٢٠٤).

(٢) الحدأة: طائر من الجوارح يصيد الجرذان. ينظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» مادة (حدأ).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم [١٨٢٨].

وعن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها- أن النبي ﷺ قال: ((خمس فواسق[١] يُقْتَلْن في الحِلِّ والحرم: الحية، والغراب الأبقع، والفارة، والكلب العقور، والحُدَيّا[٢])).

قال الإمام النووي- رحمه الله- : ((اتفق جماهير العلماء، على جواز قتلهن في الحل والحرم والإحرام، واتفقوا على أنه يجوز للمُحْرِم أن يقتل ما في معناهن))[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- ((ولم يكن قوله ﷺ: ((خمس)) على سبيل الحصر؛ لأن في أحد الحديثين ذِكْر الحية، وفي الآخر ذِكْر العقرب، وفي آخر ذكرها وذِكْر السَّبُع العادي، فعُلِمَ أنه قصد بيان ما تمسُّ الحاجة إليه كثيرا، وهو هذه الدَّواب، وعلَّلَ ذلك بفسوقها))[٤]. وهذا التوجيه والاستنباط من الإمام النِّحرير- رحمه الله- هو مقتضى الأمن ومقتضى تعزيزه، الأمن الباعث على لذيذ المناجاة، والأنس بالعبادات في البلد الحرام، وخصوصاً إِبَّان أداء المناسك العظام، في المشاعر الكرام

(١) فواسق: جمع فاسقة: الخارجة عن طبعها الحيواني، إلى شدة الإيذاء والإفساد. وأصل الفسق في اللغة: الخروج. ينظر: « النهاية في غريب الحديث والأثر » مادة (فسق).

(٢) أخرجه مسلم في « صحيحه » برقم [١١٩٨].

(٣) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١١٣/٨).

(٤) ينظر: « شرح العمدة في الفقه » (١٣٩/٣).

وسبب لحفظ النفوس، وعدم إلحاق الضرر بها، في أطهر بقعة وأشرفها.

أما سبب إباحة قتل هذه الدَّواب الفواسق، وما في معناها، فواضحةٌ جَلِيَّة، وهي شدة أذاها للناس، واعتداؤها عليهم وعلى أمتعتهم وإضرارها براحتهم وطمأنينتهم أينما كانوا، لذا جاءت الشريعة الغراء بقتلها والتخلص من شرورها وغوائلها.

المطلب الثاني عشر: لزوم دخول البلد الحرام بالإحرام لقاصد الحج والعمرة:

مكة المكرمة، قبلة الحجاج والمعتمرين، ومثابة أفئدة الطائعين، فيها المشاعر المقدسة، والمناسك المعظمة، فيها يقام أحد أركان الإسلام، وسنة الاعتمار، لمحو الذنوب والأوزار، ولذلك الاصطفاء والاجتباء، كان الورود إليها في لباس مخصوص، وسَمْتٍ لمن رَامَ النُّسُك منصوص، وعليه فقد اتفق العلماء على أن المسلم الحُرَّ المكلَّف إذا أراد الحج أو العمرة، أنه لا يدخل مكة إ لا بالإحرام[1]؛ وذلك لفضل مكة وشرفها، وخصوصِيَّتها - على سائر البقاع- التي قدَّرها الباري تبارك وتعالى منذ الأزل.

---

(١) ينظر: «الإجماع» لابن المنذر (ص ٤٨)، و«الإفصاح» لابن هبيرة (١/٢٦٩)، و«زاد المعاد» (٣/٤٢٨).

وإن لم يقصد الحج والعمرة، فلا يلزمه الإحرام، وليس عليه شيء من الفدية[1]، على الصحيح من أقوالهم - رحمهم الله - .

(١) ينظر: «المغني» (٣/٢٦٩)، «نيل الأوطار» (٤/٣٠١).

الخـــــاتمة

الفِراق حَتْم سَالِب، وأمر لازب، وها قَد دَنَت صَفْحَةُ النَّوى، والقلب من محيَّاها في تَضَعْضع وتَوى؛ لأنها رسول تحقُّقِ الغاية، ونذير النِّهاية، التي تُمهِدُ الجوارح، ككاسِر الجوَارح، ولكن نَسْأل الله حُسْن الخِتام والعمل، وتحقيق أرْجى الرَّجاء، وأزكى العمل، إنه - سبحانه - نِعْمَ المولى ونعم النَّصير.

نَعم! بعد أنْ حَلَّقْنا بِمُنْهمر أحَاسِيسِنا في جِوَاءِ فضائل البلد الحرام وبعد أنْ تَضَمَّخْنَا من طُيُوبِها، وكرعْنَا حتّى الثُّمالة من تَسْنِيم سُيُوبِها، نَقِف الآن على أغْلَى تِيجَانِها البديعة، وأعْلَى قِمَم قِيمِهَا ومُثُلِها الرَّفيعة، مُمَثَّلةً في إبريز نتائِجها، ووجيز توصِياتها مَبَاهِجِها، وإنَّهَا - يا مُحِبُّ - لَكَالآتي:

أهم النتائج:

١ - مكة المكرمة أفضل البلاد وأعظمها على وجه المعمورة، تليها المدينة المنورة.

٢ - كما شرَّف الحقُّ - تبارك وتعالى - مكة المكرمة بِبَيته الحرام خَصَّها وميزها بمزيد الفضائل، وعظيم الإنعام.

٣ - في بلد الله الحرام، أثران عظيمان خالدان، من آثار الجنة.

٤ - فضل مضاعفة أجر الصلاة في البلد الحرام، دليل كرم الله وجوده، وواسع رحمته.

٥ - كَمْ يَغْفَلُ كثير من المسلمين عن الفضائل العظيمة التي خُصَّ بها البلد الحرام؟!

٦ - فضائل البلد الحرام عظيمة جدا، لكنها جمة وكثيرة.

٧ - رَوَاج بعض الفضائل الضعيفة – مع الأسف- على ألسنة كثير من المسلمين.

٨ - فُشُوُّ الأحاديث الضعيفة، والقصص السقيمة، في كثير من الكتب التي أَرَّخَت للبلد الحرام ونشأته.

٩ - بلغت معالم حدود الحرم القديمة والحديثة، ألفًا ومائة وأربعة معْلم، وفيه دليل أهمية المعالم، وشدة العناية بها.

أهم التوصيات:

١٠ - توعية المسلمين بعظمة وقداسة البلد الأمين، قبل ورودهم للدِّيار المقدسة.

١١ - مضاعفة الجهود بين الجهات المختصة لتوعية زوار البلد الحرام، وقاصدي الكعبة المشرفة.

١٢ - تعزيز ودعم مشروع تعظيم البلد الحرام؛ لأنه مَشْرَعٌ رَوِيٌّ في

هذا الجانب المهم.

١٣ - حثّ الباحثين والأكاديميين على التأليف في مكانة البلد الحرام وفضائله وأحكامه وآدابه، وإعْدَاد الموسوعات في ذلك مطلب مُلِحٌّ.

١٤ - مضاعفة جهود رئاسة الحرمين الشريفين في توعية الحجاج والمعتمرين والقاصدين، بحرمة البلد الحرام، وذلك من خلال المحاضرات،والمؤلفات والمطويات، والندوات والمؤتمرات.

١٥ - تطهير البلد المبارك حسا ومعنى، من كل ما يَخْدِش قُدُسيَّته وتَنَادِي كُلِّ الجهاتِ المعنية، لتحقيق هذا المقصِد العظيم.

وقبل أنْ أضع القلم دَاوته، أضرع إلى المولى ﷻ أن يجعل هذا العمل لوجهه الكريم خالصا، وعن سواه قالِصًا، وألهج إليه بالحمد الأتم والشّكر الأعم، أن وفّقني لإتمام هذا البحث، على معافاةٍ ومَسَرَّة، ونِعْمَتِ عين وقُرَّة - سبحانه - وليّ الإنعام وفَاتحه، وأهل التوفيق ومانِحه، وصلّ اللهم وسلَّم على نبيِّنا محمَّد ما طلعت شمس، وما صُلِّيَتْ خمس، وما تعاقب الجهر والهَمْس، وعلى آله الأطهار، وصحابته الميامين الأخيار المهاجرين والأنصار، ومن اقتفى أثرهم بإحسان إلى يوم الدِّين، والحمد لله الذي بنعمته تتِمُّ الصالحات.

فهرس المصادر والمراجع

١ - الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق وتخريج: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
٢ - الإجماع: محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الدعوة، الإسكندرية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ.
٣ - الأحاديث الواردة في فضائل المدينة: د. صالح بن حامد الرفاعي، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية بالجامعة الإسلامية بالمدينة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
٤ - أحكام الحرم المكي الشرعية: عبد العزيز بن محمد الحويطان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٥هـ.
٥ - الأحكام السلطانية والولايات الدينية: علي بن محمد الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
٦ - أحكام القرآن: أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العملية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
٧ - أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه: محمد بن إسحاق الفاكهي، تحقيق: د. عبد الملك بن دهيش، دار خضر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
٨ - أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار: محمد بن عبد الله الأزرقي، تحقيق: رشدي ملحس، دار الثقافة، مكة المكرمة، الطبعة الخامسة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
٩ - الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ.
١٠ - إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: محمد بن ناصر الدين الألباني،

المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.
١١ - أساس البلاغة: محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.
١٢ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب: يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة بدون.
١٣ - أسماء الكعبة المشرفة في الدرس النبوي: أ.د. رياض بن حسن الخوام، المكتبة المكية، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
١٤ - الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: على محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
١٥ - أعلام وحدود الحرم المكي الشريف: د. خضران الثبيتي، و د. سعود الثبيتي، مركز تاريخ مكة المكرَّمة، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م-١٤٣٣هـ.
١٦ - إعلام الساجد بأحكام المساجد: محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: أبو الوفا مصطفى المراغي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة التراث الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ-١٨٢م.
١٧ - الإقناع: أبو بكر محمد بن إبراهيم ابن المنذر، تحقيق: د. عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، مطابع دار الفردوس، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
١٨ - الأم: محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: د. أحمد بدر الدين حسون، دار قتيبة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
١٩ - بحوث عن مشاعر الحرم: عبد الله نذير أحمد، المكتبة المكية، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
٢٠ - بدائع الصنائع في ترتبت الشرائع: علاء الدين الكاساني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.

٢١ - بداية المجتهد ونهاية المقتصد: محمد بن رشد القرطبي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩٨هـ.
٢٢ - تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.
٢٣ - التاج والإكليل لمختصر خليل: محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ،
٢٤ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: محمد بن أحمد الذهبي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
٢٥ - تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق: عثمان بن علي الزيلعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٣١٣هـ، أعادت نشره: دار المعرفة، بيروت.
٢٦ - تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٨هـ.
٢٧ - تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.
٢٨ - الترغيب والترهيب من الحديث الشريف: عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ.
٢٩ - تعظيم البلد الحرام في الجاهلية والإسلام: وسيم بن عبد الرحمن محمد معلم، مطبعة سفير، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.
٣٠ - تفسير أبي حيان ((البحر المحيط)): محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
٣١ - تفسير الخازن ((لباب التأويل في معاني التنزيل)): علي بن محمد بن إبراهيم الشهير بالخازن، دار الفكر، بيروت.

٣٢ - تفسير الزمخشري ((الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)): محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٣ - تفسير السعدي ((تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)): عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٣٤ - تفسير الشوكاني((فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير)): محمد بن علي بن محمد الشوكاني، اعتنى به: سعيد محمد اللحام، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٣٥ - تفسير الطبري ((جامع البيان عن وجوه تأويل القرآن)): محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٣٦ - تفسير ابن عاشور ((التحرير والتنوير)): محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٣٧ - تفسير القرطبي ((الجامع لأحكام القرآن)): محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق وتخريج: د. محمد إبراهيم الحفناوي، ود. محمود حامد عثمان، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٣٨ - تفسير ابن كثير ((تفسير القرآن العظيم)): إسماعيل بن عمر بن كثير، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

٣٩ - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد بن عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.

٤٠ - تهذيب الأسماء واللغات: يحيى بن شرف الدين النووي، إدارة المطبعة المنبرية، بيروت.

٤١ - تهذيب اللغة: محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

٤٢ - جامع العلوم والحكم: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٤٣ - جمهرة اللغة: ابن دريد، حيدر أباد، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٤٤هـ.

٤٤ - حاشية السندي على سنن النسائي: أبو الحسن نور الدين بن عبد الهادي السندي، (مطبوع مع سنن النسائي)، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة عابدين، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٦هـ.

٤٥ - حاشية ابن عابدين ((رد المحتار على الدر المختار)): محمد أمين الشهير بابن عابدين، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٦هـ.

٤٦ - الحرم المكي الشريف والأعلام المحيطة به ((رسالة دكتوراه)): د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة.

٤٧ - دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٤٨ - الذخيرة في فروع المالكية: أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب، بيروت، ١٩٩٤م.

٤٩ - الروضة الندية: صديق حسن خان، تحقيق: علي حسين الحلبي، دار ابن عفان، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

٥٠ - زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر الزرعي المشهور بابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة عشرة، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٥١ - الزواجر عن اقتراف الكبائر: أحمد بن محمد الهيتمي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
٥٢ - سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
٥٣ - سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث، بيروت.
٥٤ - سنن الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق وتخريج: مجموعة من الباحثين، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
٥٥ - سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.
٥٦ - السنن الكبرى أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.
٥٧ - سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
٥٨ - شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
٥٩ - شرح السنة: الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
٦٠ - شرح سنن ابن ماجه: السيوطي، وعبد الغني، وفخر الحسن الدهلوي، الناشر: قديمي كتب خانة، كراتشي.
٦١ - شرح فتح القدير: كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية.

٦٢ - الشرح الكبير على المقنع: عبد الرحمن بن محمد بن قدامة المقدسي، (مطبوع مع المغني)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٦٣ - شرح معاني الآثار: أحمد بن محمد بن سلامة أبو جعفر الطحاوي، تحقيق: محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.

٦٤ - شرح مشكل الآثار: أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.

٦٥ - الشرح الممتع على زاد المستقنع: محمد بن صالح العثيمين، اعتنى به: د. سليمان أبا الخيل، د. خالد المشيقح، مؤسسة آسام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

٦٦ - شعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: أبو هاجر زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٦٧ - شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام: محمد بن أحمد الفاسي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٦٨ - صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد علي القطب، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٦٩ - صحيح الترغيب والترهيب: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٧٠ - صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد البستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٧١ - صحيح ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠هـ.

٧٢ - صحيح سنن الترمذي باختصار السند: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.
٧٣ - صحيح سنن أبي داود باختصار السند: محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.
٧٤ - صحيح سنن ابن ماجه باختصار السند: محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.
٧٥ - صحيح سنن النسائي باختصار السند: محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.
٧٦ - صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
٧٧ - صحيح مسلم بشرح النووي: يحيى بن شرف الدين، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٩هـ.
٧٨ - صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٧٩ - ضعيف الجامع الصغير وزيادته: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.
٨٠ - الطبقات الكبرى (لابن سعد): محمد بن سعد، دار صادر، بيروت، ١٣٨٠هـ.
٨١ - عمدة القاري شرح صحيح البخاري: محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٨٢ - غريب الحديث: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٨٣ - فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مكتبة دار الفيحاء، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
٨٤ - فضائل الصحابة: أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: رضي الله محمد عباس، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
٨٥ - فضائل مكة المكرمة: د. عبد الله بن محمد نوري، مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، السنة التاسعة عشرة، عدد: ٢٢، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
٨٦ - فضائل مكة الواردة في السنة جمعا ودراسة: د. محمد بن عبد الله الغبان، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
٨٧ - القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، سوريا، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ.
٨٨ - القرى لقاصدي أم القرى: أحمد بن عبد الله محب الدين الطبري، تحقيق: مصطفى السقا، دار الكتب العلمية، بيروت.
٨٩ - قواعد الأحكام في مصالح الأنام: عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (العز بن عبد السلام)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، أم القرى للطباعة والنشر.
٩٠ - كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، مكتبة ابن تيمية، الرياض، الطبعة الثانية.
٩١ - الكعبة المشرفة: محمود بن أحمد الدوسري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ
٩٢ - لسان العرب: محمد مكرم بن منظور، دار صادر ودار بيروت – لبنان، ١٣٨٨هـ.
٩٣ - المبسوط: محمد بن أحمد السرخسي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة،

١٣٩٨هـ.
٩٤ - مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن: عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: مرزوق إبراهيم، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٩٥ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ.
٩٦ - المجموع شرح المهذب للشيرازي: يحيى بن شرف الدين النووي، تحقيق: محمد المطيلعي، مكتبة الإرشاد، جدة.
٩٧ - المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
٩٨ - المحلى: علي بن أحمد بن حزم، تحقيق: أحمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
٩٩ - مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد الرزاق الرازي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ.
١٠٠ - مختصر اختلاف العلماء: أحمد بن محمد الطحاوي المعروف بالجصاص، تحقيق: د. عبد الله نذير أحمد، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤١٧هـ.
١٠١ - المخصص: علي بن إسماعيل النحوي المعروف بابن سيده، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
١٠٢ - المدونة: الإمام مالك بن أنس، رواية سحنون التنوخي، دار صادر، بيروت.
١٠٣ - مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات: ابن حزم الظاهري، اعتنى به: حسن أحمد إسبر، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى،

١٤١٩هـ.

١٠٤ - مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل ((الموسوعة الحديثية)): تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

١٠٥ - مسند أبي يعلى: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي، تحقيق: حسين سليم أحمد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

١٠٦ - مصنف ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

١٠٧ - مصنف عبد الرزاق: عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

١٠٨ - معجم الطبراني الأوسط: سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله، وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.

١٠٩ - معجم الطبراني الكبير: سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

١١٠ - معجم قبائل الحجاز: عاتق بن غيث البلادي، دار مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

١١١ - معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: عبد الله بن عبد العزيز البكري، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣ه- ١٩٨٣م.

١١٢ - معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

١١٣ - المعجم الوسيط: جماعة من الباحثين، المكتبة الإسلامية، تركيا، إصدار:

مجمع اللغة العربية بمصر.
١١٤ - المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
١١٥ - مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: محمد الخطيب الشربيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١١٦ - المفردات في غريب القرآن: الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
١١٧ - مكة المكرمة تاريخ ومعالم: محمود محمد حمو، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.
١١٨ - المهذب في فقه الإمام الشافعي: إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، دار الفكر، بيروت.
١١٩ - مواهب الجليل لشرح مختصر خليل: محمد بن عبد الرحمن المغربي، المعروف بالحطاب، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.
١٢٠ - موطأ الإمام مالك: مالك بن أنس الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر.
١٢١ - النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.
١٢٢ - نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: على معوض، وعادل عبد الموجود، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

فهرس الموضوعات